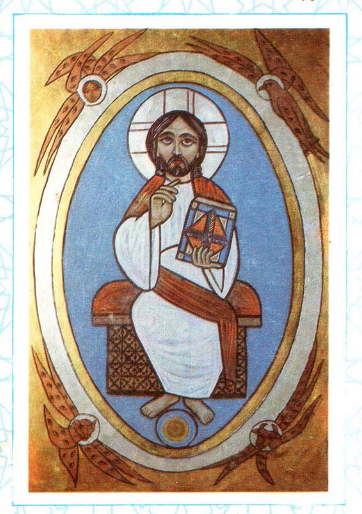
نيافة الأنبا يوأنس
أسقف الغربية



تأملات في سفر
نشيد الأناشيد

صفحة بيضاء

تأملات في سفر

نشيد الاناشيد

نيافة الأنبا يوأنس
أسقف الغربيـة

صفحة بيضاء



صاحب الغبطة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

صفحة بيضاء

الكتاب : تأملات فى سفر نشيد الأناشيد .
المؤلف : نيافة الحبر الجليل الأنبا يوأنس أسقف الغربية .
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) ـ العباسية القاهرة .
الطبعة : الأولى مايو ١٩٨٩م .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٨٩/٣٤٦٧ .

صفحة بيضاء

قصة هذا الكتاب

« ... سفر النشيد هو سيمفونية حب تطرب بها النفس العابدة التى إنطلقت متحررة من قيود العالم ، بعد أن تحررت من سلطان فرعون الروحى أى إبليس ، لتتمتع بحرية مجد أولاد الله. لهذا لا يتحدث هذا السفر عن وصايا أو تعاليم بل عن سر الحب الأبدى والحياة مع العريس السماوى ... » .

بهذه الكلمات الحية التى تعبر عن النفس التى تطرب بعريسها السماوى قدم أبينا **الحبيب نيافة الحبر الجليل الأنبا يوأنس** لمحاضراته عن سفر نشيد الأناشيد .

لقد عاش أبينا الحبيب حياته بالجسد متطلعاً للحظة الإنطلاق لينشد نشيد الحب الأبدى . كانت هذه التأملات تعبيراً عما يجول فى قلبه فهو الذى كتب فى بستانه الروحى **«إن غاية محبة الإنسان لله إنما هى حضور عشاء عرس الحمل. (اكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف) (رؤ١٩ : ٩) . إنه يفوق تعبير الكلمات والأفكار... إن كل الفرح والسعادة فى هذا العالم لا يقارن بعشاء عرس الحمل ... إنه مهرجان المحبة العظيم . إن ملك الملوك ورب الأرباب يصنع وليمة عرسه مع عروس محبته التى هى الكنيسة بأعضائها » .**

ويتكلم نيافته عن العروس (النفس البشرية) فيقول « **لقد وصلت العروس إلى آخر محطة وهى تستقل قطار السماء. إنها المحطة العظمى محطة المحبة ... سترى العروس الملك فى بهائه أبرع جمالاً من بنى البشر» (مز ٤٥ : ٢). وسيقول لها «ما أحسن حبك يا أختى العروس » (نش ٤ : ١٠)*.**

لقد ألقى **أبينا الطوباوى نيافة الأنبا يوأنس** هذه التأملات تفسيراً لسفر نشيد الأناشيد فى محاضرات على مدى ستة شهور خلال الفترة من ٣ يونيو ١٩٨٣ وحتى ٢٣ ديسمبر ١٩٨٣ لأبنائه بإيبارشية الغربية بمدينتى طنطا والمحلة الكبرى.

ثم عاد **نيافة الأنبا يوأنس** ليعد هذه التأملات لإخراجها فى صورة كتاب وكان ذلك أثناء الفترة الأخيرة من حياته بالجسد لكيما يستعد لعرس الحمل فى السماء. فلقد قال عن سفر النشيد:

«إنه نشيد النفس الذى ترنم به إلى الأبد حين تدخل إلى حضرة عريسها فى السماء وتبقى فى حجاله السماوى لتحيا حياة التسبيح الدائم ».

لقد كانت تطلعات **أبينا الحبيب الأنبا يوأنس** دائماً إلى السماء وحياة التسبيح مع السمائيين ولنيافته عبارة شهيرة «**تسبيحنا هنا على**

---

* بستان الروح جـ٣ لنيافة الأنبا يوأنس ص ٥٤-٥٦.

الأرض مقدمة لحياتنا الأبدية حيث يكون كل عملنا هو تسبيح من أحبنا حينما تختلط أصواتنا مع غير المرئيين».

حقاً لقد كان أبينا الحبيب إنجيلاً مقروءً من كل أحد.. جمع بين روحانية الفضيلة وعمق المعرفة وأصالة الفهم وحكمة التدبير مع معرفة هائلة فى علوم الروح والتاريخ والطقس والعقيدة وتفسير الكتاب. وامتزج هذا كله فى حياة معاشة على مدى عشرات السنوات فى أحضان الكنيسة خادماً أميناً وراهباً ناسكاً وأسقفاً حكيماً.

وحقاً ما قاله **أبينا الكلى الطوبى غبطة البابا المعظم الأنبا شنوده** يوم رثائه لأبينا الحبيب **«يمضى ويترك وراءه فراغاً كبيراً ليس من السهل أن يوجد من يملأه. ليس من السهل على الكنيسة أن تعد شخصاً يموت عن العالم وكل الأشياء التى فى العالم ويترهب، وليس سهلاً على الكنيسة أن تعد راهباً لخدمة الكهنوت وللمسئولية ولعمل الأسقفية، وحتى أى أسقف لا يمكن أن تكون له الخبرة الطويلة التى مر بها إنسان خدم كثيراً من قبل».**

ونحن إذ نقوم بطبع هذا الكتاب خلال الصوم الأربعينى المقدس الذى إعتاد **نيافة الأنبا يوأنس** أن يتكلم فيه واعظاً للعديد من الموضوعات إنما نثق أن نيافته سيفرح فى السماء إذ يرى هذا الكتاب وقد خرج إلى النور. ويتداول بين أيدى الكثيرين.

نطلب لأ بينا الحبيب كاتب هذا الكتاب النفيس نياحاً فى أحضان مصاف القديسين الذين أحبهم قبلا وأحبوه . وليشفع دائماً من أجلنا نحن أبنائه وأحبائه . بصلوات أبينا الحبيب وراعينا الأكبر **غبطة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث** أطال الله حياته .

الأحد الرابع من الصوم الأ ربعينى المقدس (أحد السامرية) ٢ أبريل ١٩٨٩م .
تذكار تجلى السيدة العذراء بكنيستها بالزيتون ٢٤ برمهات ١٧٠٥ش .

عنوان السفر و كاتبه

عنوان السفر وكاتبه :

سُمىّ نشيد الأناشيد لوجود أناشيد كثيرة فى أسفار العهد القديم ، لكن من جهة الأفضلية هو أفضلها وأسماها وأهمها ... على نحو ما نقول « ملك الملوك ، ورب الأرباب ، وقدس الأقداس ، وسبت السبوت ، وسماء السموات ، وباطل الأباطيل ، وعبد العبيد ... إلخ » . أما عن كاتبه فهو سليمان بن داود .

سليمان هو كاتب سفرى النشيد والجامعة ... فى سفر الجامعة يظهر حقيقة العالم والحياة الأرضية وبطلانها « باطل الأباطيل الكل باطل » (جا ١ : ٢) ... لكنه فى سفر النشيد يتحدث عن الحياة السماوية ... فى سفر الجامعة يعلن أنه لا شبع للنفس من خلال كثرة المعرفة « فى كثرة الحكمة كثرة الغمّ . والذى يزيد علماً يزيد حزناً » (جا ١ : ١٨) . أما فى سفر النشيد فيعلن أن النفس راحتها الحقيقية فى محبة الله .

وسفر النشيد سفر رمزى هكذا فهمه اليهود ، وهكذا فهمه آباء ومعلمو المسيحية الأوائل ... إنه يمثل العلاقة القائمة بين الله كالعريس وبين الكنيسة ـ جماعة المؤمنين من شعبه ـ كالعروس ؛ أو الله كالعريس والنفس البشرية ـ كعضو فى الكنيسة ـ كالعروس . والحديث الذى يدور بين العروس والعريس أو العكس فهو يرمز إما إلى الكنيسة فى علاقتها بالله ، أو النفس البشرية فى اتحادها بالله ، كما يقول العلامة أوريجينوس وهو صاحب المدرسة الرمزية فى الكنيسة المسيحية .

العلامة أوريجينوس وهذا السفر :

يرى أوريجينوس أن النفس البشرية المؤمنة التى تسير من قوة إلى قوة فى طريقها إلى أورشليم السمائية، تُسَبّح سبعة أناشيد :

(أ) النشيد الأول تُنْشده النفس وهى خارجة من جُرْن المعمودية على مثال ما فعله بنو اسرائيل بعد عبورهم البحر الأحمر... تقول «أرنم للرب لأنه قد تعظّم. الفرس وراكبه طرحهما فى البحر. الرب قوّتى ونشيدى وقد صار لى خلاصاً» (خر ١٥ : ١)... ولذلك جعلت الكنيسة هذا النشيد جزءً من التسبحة اليومية (الهوس الأول)... إنها بذلك تريد أن يتذكر أولادها كل يوم عبورهم من عبودية الخطية وتمتعهم بنعمة التبنى من خلال المعمودية، وتتأكد غلبتهم على قوات الظلمة...

(ب) والنشيد الثانى فى الرحلة الروحية تترنم به النفس عندما تأتى إلى البئر التى حفرها الرؤساء فى البرية «حيث قال الرب لموسى اجمع الشعب فأعطيهم ماء... حينئذ ترنم اسرائيل بهذا النشيد. اصعدى أيتها البئر أجيبوا لها. بئر حفرها رؤساء حفرها شرفاء الشعب بصولجان بعصيهم» (عدد ٢١ : ١٦ - ١٨)... إنها تمثل أنشودة النفس التى تتقبل من الله نفسه - خلال الكنيسة التى يمثلها الرؤساء - ينابيع الماء الحية.

(جـ) والنشيد الثالث حين نقف مع موسى على ضفاف الأردن، ونسمعه يترنم فى مسامع الشعب قبيل رحيله (تث ٣٢)... وهى تمثل

أنشودة النفس التى تدرك رعاية الله وسط برية العالم يرافقها كما يرافق الأب ابنه مسيرة الطريق كله .

(د) والنشيد الرابع يمثل جهاد النفس على نحو ما حاربوا تحت قيادة يشوع لكى تمتلك الأرض المقدسة «أنا أنا للرب أرنم . أزمّر للرب ... تزلزلت الجبال من وجه الرب» (قض ٥) .

(هـ) أما النشيد الخامس فهو الذى ترنم به داود حين هرب من أيدى أعدائه إذ قال «الرب سند لى ، قوتى وملجأى ومخلصى» . هكذا تملك النفس مع داود حين تتحطم قوى الشيطان عدوها بالله سندها وقوتها وملجأها . وكما ورث داود شاول ، نرث نحن أيضاً مركز ابليس قبل سقوطه .

(و) وإذ تكتشف النفس أسرار الملكوت ، تنشد مع الأنبياء النشيد السادس قائلة «لأنشدنّ عن حبيبى نشيد محبّى لكرمه ...» (إش ٥ : ١) .

(ز) والنشيد السابع تنطق به النفس ـ وهو سفر نشيد الأناشيد ـ ترنم به إلى الأبد حين تدخل إلى حضرة عريسها ، وتبقى معه فى حجاله السماوى .

تلخيص :

النفس ترنم النشيد الأول وهى خارجة من المعمودية بعد أن نالت التبنى- والثانى وهى تشرب من ينابيع الحياة التى تفيض فى الكنيسة- والثالث وهى تتلمس رعاية الله المستمرة فى برية العالم- والرابع تسبحة جهادها- والخامس تترنم به كلما حظيت بالنصرة فتملك مع الرب- والسادس تُنشده مع الأنبياء حين تتحسس أسرار الأبدية والأمور السماوية- والسابع فى حضرة العريس ...

ملاحظات :

+ كان سفر نشيد الأناشيد يُقرأ فى اليوم الثامن من الاحتفال بعيد الفصح بكونه نشيد الحب الأبدى المقدم لله، أو الذى يربط الله بأولاده المؤمنين الذين ينعمون بخلاصه... فاليوم الثامن يشير إلى ما بعد أيام الأسبوع (٧ أيام)- أى يشير إلى الحياة الجديدة، أو الحياة الأخرى التى ننعم بها خلال المسيح فصحنا الحقيقى... وكأن النشيد يحمل نبوة عن الفصح الحقيقى، الذى ينقذنا من الموت، ويدخل بنا إلى حجاله «سماء السموات»، عروساً عفيفة متحدة به اتحاداً أبدياً.

+ سفر النشيد هو سيمفونية حب تطرب بها النفس العابدة، التى انطلقت متحرّرة من قيود العالم، بعد أن تحررت من سلطان فرعون

الروحى أى ابليس ، لتتمتع بحرية مجد أولاد الله . لهذا لا يتحدث هذا السفر عن وصايا أو تعاليم، بل عن سرّ الحب الأبدى ، والحياة مع العريس السماوى ... يقول القديس غريغوريوس أسقف نيصص :

« يأمرنا الكلمة فى سفر النشيد ألا نفكرّ فيما هو للجسد حتى ونحن بعد فى الجسد . بل نرتفع إلى الروح ، فنحوّل كل تعبيرات الحب التى نجدها هنا كتقدمات طاهرة غير مدركة ، نقدّمها للرب الصالح الذى يفوق كل فهم ، والذى فيه وحده نجد كل عذوبة وحب ومُشتهى » .

+ إن هذا السفر الذى يتغنى بالحب يسميه العلامة أوريجينوس « سفر البالغين » ... « أما الطعام القوى فللبالغين ... الذين بسبب التمرّن قد صارت لهم الحواس مدرّبة ... وأما الأطفال فى الإيمان فلهم فى كلام الله غذاء يجدونه فى الأسفار الأخرى » .

+ و يقول القديس غريغوريوس أسقف نيصص عن هذا السفر « إننى أتحدث عن سفر نشيد الأناشيد معكم أنتم جميعاً يا من تحولتم إلى ما هو إلهى ... تعالوا أدخلوا إلى حجرته الزيجية غير الفاسدة ، يا من لبستم ثوب أفكار النقاوة والطهارة الأبيض . فإن البعض لا يرتدى ثوب الضمير النقى اللائق بعروس إلهية ، ومن ثَمّ يرتبكون بأفكارهم الذاتية ، و ينحدرون بكلمات العريس النقية إلى مستوى اللذات البهيمية . وهكذا يُبتلعون فى خيلات مشينة » .

+ أما الناسك المصرى الأب بفنوتيوس ، فيرى فى كتب سليمان الحكيم درجات النسك الثلاثة التى ترتفع بالإنسان إلى حياة الحب

والاتحاد بالله فى سفر النشيد... يقول «سفر الأمثال يقابل النوع الأول من النسك. فيه نقمع شهوات الجسد والخطايا الأرضية. والنوع الثانى يمثله سفر الجامعة حيث يعلن أن كل ما يحدث تحت الشمس هو باطل. وأما النوع الثالث فيطابقه سفر نشيد الأناشيد، وفيه تسمو النفس فوق كل المنظورات، مرتبطة بكلمة الله بالتأمل فى الأمور السماوية».

+ وقد فهم أنبياء العهد القديم أن العهد الذى كان بين الله وشعبه هو بمثابة عهد زواج. يقول اشعياء «لأن الرب يُسَرّ بكِ... كفرح العريس بالعروس يفرحُ بكِ إلهك» (إش ٦٢: ٤، ٥)... ويقول هوشع «ويكون فى ذلك اليوم يقول الرب إنك تدعينى رجلى... وأخطبك لنفسى إلى الأبد. وأخطبك لنفسى بالعدل والحق والإحسان والمراحم. أخطبك لنفسى بالأمانة فتعرفين الرب» (هو ٢: ١٤- ٢٠) [أنظر خروج ٤٥؛ أرميا ٢: ٢؛ حزقيال ١٦: ٧- ١٤].

+ إن سفر النشيد هو سفر العرس السماوى، فيه تتحقق إرادة الله الأزلية من نحو الإنسان... هو نبوة لسرّ الزفاف الاسخاتولوجى حيث تُزف الكنيسة الواحدة الممتدة من آدم إلى آخر الدهور عروساً مقدسة...

هذا العرس رآه يوحنا المعمدان بالروح فقال «من له العروس فهو العريس» (يو ٣: ١٩)... هو غاية كرازة الرسل، فيعلن بولس ذلك بقوله «فإنى أغار عليكم غيرة الله، لأنى خطبتكم لرجل واحد، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح» (٢كو ١١: ٢). وفى سفر الرؤيا يقول يوحنا «وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من

عند الله مُهيأة كعروس مزينة لرجلها » (رؤ ٢١ : ٢) ... « قد ملك الرب الإله ... لأن عرس الخروف قد جاء . وامرأته هيأت نفسها ، وأعطيت أن تلبس بزاً نقياً بهياً » (رؤ ١٩ : ٦ - ٨) .

+ ولما كان هذا السفر هو سفر الزيجة الروحية التى تربط المسيح البتول بكنيسته البتول ، لهذا رأى بعض آباء الكنيسة فى هذا السفر أنه « سفر سرّ البتولية » ، حيث تشبع النفس البتول بعريسها البتول ، فلا يعوزها شيء ، حتى ولا إلى الزيجة الجسدية ... ومن هؤلاء القديس جيروم ... لقد ربط بين الانجيل والبتولية ، كما ربط بين الناموس الموسوى وعفة الزواج ... وهو يرى أن هذا السفر يعلن أن وقت الشتاء قد مضى ، أى كمل زمان الناموس الذى يحث على العفة من خلال الزواج المقدس ، وجاء وقت الربيع حيث تظهر زهور البتولية كثمر من ثمار الانجيل !!... لقد فهم جيروم هذا السفر على أنه يؤكد البتولية ويمدحها .

أما فيما يختص باستخدام بعض أعضاء الجسد فى هذا السفر للتعبير عن دلالات روحية ، فيقول العلامة أوريجينوس فى تعليقه على سفر النشيد :

« فى مستهل كلمات موسى النبى - حيث يصف خلق العالم - نجد إشارة إلى خلقة رجلين : الأول خلق على صورة الله وشبهه (تك ١ : ٢٦) ، والثانى خلق من تراب الأرض (تك ٢ : ٧) ... لقد عرف بولس الرسول هذا حق المعرفة ، وكان يملك فهماً واضحاً لكل هذه الأمور . كتب فى رسائله بصراحة ووضوح أن كل إنسان هو إنسانان مختلفان ...

«إن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً» (٢كو ٤ : ١٦)... وأيضاً «فإنى أُسَرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن» (رو ٧ : ٢٢)... كما كتب فقرات كثيرة جداً مثل هذه... وعلى هذا الأساس لا أظن أن أحداً الآن يخالجه شك فى أن موسى فى مستهل التكوين كتب عن خلق أو تشكيل إنسانين مختلفين... وهو يذكر أن أحدهما ـ ألا وهو الإنسان الباطن ـ يتجدّد يوماً فيوماً. ولكنه يؤكد أن الآخر ـ الإنسان الخارج ـ فى القديسين يفنى و يضمحل».

ويمضى أوريجينوس و يقول «وما نريد أن نبيّنه على هذا الأساس هو أنه فى الأسفار المقدسة ـ بالدلالات المماثلة وأحياناً بالكلمات نفسها ـ نرى أعضاء الإنسان الخارج وأجزاء الإنسان الباطن يقارن أحدهما بالآخر، ليس فقط من جهة الدلالات، بل أيضاً من ناحية الواقع ذاته. وعلى سبيل المثال يمكن أن يكون بعض الناس حسب السنّ ولداً من جهة الإنسان الباطن، وفى مقدوره أن ينمو حتى يبلغ سن الشباب. وهكذا ينمو بإطراد حتى يصل إلى إنسان كامل (أف ٤ : ١٣). وما يلبث أن يصير أباً!!... نرى يوحنا الرسول يكتب قائلاً «أكتب إليكم أيها **الأولاد** لأنكم قد عرفتم الآب. أكتب إليكم أيها **الآباء** لأنكم قد عرفتم الذى من البدء. كتبت إليكم أيها **الأحداث** لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير» (١يو ٢ : ١٣، ١٤)... إنى لا أظن أن أحداً يخالجه شك فى أن يوحنا يستعمل هذه المصطلحات : أولاد، أحداث أو شبان، وآباء بحسب سن النفس وليس الجسد...».

« يقول بولس فى أحد المواضع « لم أستطع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين ، كأطفال فى المسيح ، سقيتكم لبناً لا طعاماً » (١ كو ٣ : ١ ، ٢) . إنه يستخدم مصطلح « طفل فى المسيح » ليوضح عمر النفس وليس عمر الجسد . و يقول فى موضع آخر « لما كنت طفلاً كطفل كنت أتكلم وكطفل كنت أفطن وكطفل كنت أفتكر . ولكن لما صرت رجلاً أبطلت ما للطفل » (١ كو ١٣ : ١١) . وفى موضع آخر يقول « إلى أن ننتهى ... إلى إنسان كامل ، إلى قياس قامة ملء المسيح » (أف ٤ : ١٣) . لأنه يعلم أن كل من يؤمن سينتهى إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح » ...

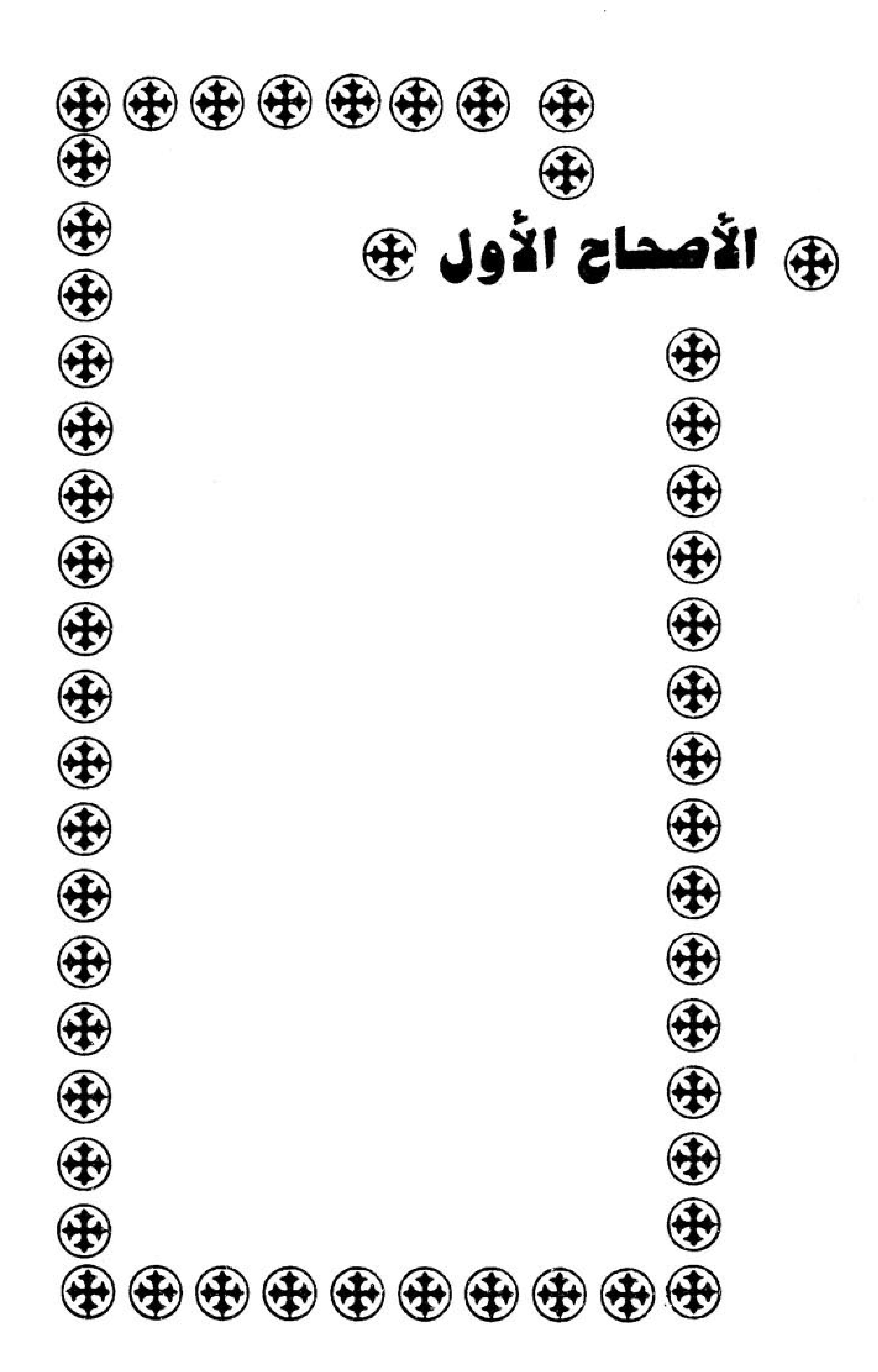
« وكما أن أسماء الأعمار التى تكلمنا عنها تنطبق بنفس الدلالات على كل من الإنسان الباطن والخارج ، كذلك أسماء أعضاء الجسد ، فإنها تطلق على أعضاء النفس ، أو بالأحرى تطلق على قوة النفس ورغبتها . وهذا ما يعبّر عنه فى سفر الجامعة « الحكيم عيناه فى رأسه » (جا ٢ : ١٤) . وفى الانجيل « من له أذنان للسمع فليسمع » (مر ٤ : ٩) . وأيضاً فى الأنبياء « الكلمة التى تكلم بها الرب على يد أرميا النبى أو أى نبى آخر » (أر ٥٠ : ١ ؛ إش ٢٠ : ٢) ... ومثل ذلك قول الحكيم « احفظ الرأى والتدبير فيكونا حياة لنفسك ونعمة لعنقك . حينئذ تسلك فى طريقك آمناً ولا تعثر رجلُك » (أم ٣ : ٢١ - ٢٣) . وأيضاً « أما أنا فكادت تزل قدماى » (مز ٧٣ : ٢) . وقول إشعياء « حَبلْنا ، تلوّينا كأننا ولدنا ريحاً » (إش ٢٦ : ١٨) . وواضح

أن النبى يعنى رحم النفس . وكيف يستطيع أى إنسان أن يشك فى هذا الأمر حين يقول الكتاب «حلقهم قبر مفتوح» (مز ٥ : ٩) . وأيضاً «أهلِك يارب ، فرّق ألسنتهم» (مز ٥٥ : ٩) . وأيضاً قوله «هشّمت أسنان الأشرار» (مز ٣ : ٧) . وأيضاً « احطم ذراع الفاجر والشرير» (مز ١٠ : ١٥) » .

«وعلى أساس الأدلة التى سقناها يتبين بوضوح أن هذه الأسماء للأعضاء لا يمكن بأى حال أن تنطبق على الجسم المنظور، بل تشير إلى أجزاء النفس غير المنظورة وقواها . والسبب أن كليهما يحمل دلالات مماثلة . ولكن الأمثلة المعطاة تُعَبّر بوضوح ودون إبهام قط عن معانٍ لا تنطبق على الإنسان الخارج ، بل على الإنسان الباطن ... إن هذا الإنسان المادى الذى يدعى الإنسان الخارج له طعام وشراب يناسبان طبيعته الخاصة الجسدية والأرضية . وشبيه بهذا الإنسان الروحى المدعو الإنسان الباطن وله أيضاً طعامه الخاص ـ ذلك الخبز الحىّ الذى نزل من السماء (يو ٦ : ٣٣ ، ٤١) ؛ وشرابه من ذلك الماء الذى وعد به يسوع حين قال «من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد» (يو ٤ : ١٤) . وهكذا يطبق تشابه فى الدلالات على كل شىء بحسب كل من الإنسانين ... بهذا المعنى نفهم قول الكتاب «العاقر ولدت سبعة وكثيرة البنين ذبلت» (١صم ٢ : ٥) . وكما قيل فى بركة الرب لشعبه قديماً «لا تكون مُسْقِطة ولا عاقر فى أرضك» (مز ٢٣ : ٢٦) » .

أما فيما يختص بالحب الجسدانى والمحبة الروحية فيقول أوريجينوس :

« إن قيل إن هناك حب جسدى الذى يطلق عليه الشعراء أيضاً «حب » ، فتبعاً لذلك فالإنسان الذى يحب ـ هذا الحب ـ يزرع للجسد . كذلك هناك حب روحى ، وطبقاً له فالإنسان الباطن إذا أحب يزرع للروح (غل ٦ : ٨) . وبوضوح أكثر نقول إذا كان هناك إنسان ما لا يزال يلبس صورة الترابى طبقاً للإنسان الخارج ، فإنه ينقاد بشهوة أرضية وحب جسدى . ولكن الإنسان الذى يلبس صورة السماوى طبقاً للإنسان الباطن ، فإنه ينقاد برغبة سماوية وحب (١كو ١٥ : ٤٩) . إن النفس تُهوى بحب سماوى ورغبة حينما تدرك جمال كلمة الله وعظمته . إنها تقع فى حب جلاله . وبهذا تحصل منه على بعض سهام الحب وجراحه ، لأن الكلمة (اللوغوس) هو صورة الله غير المنظور وبهاؤه ، بكر كل خليقة . الذى فيه خُلق الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى (كولوسى ١ : ١٥ ؛ عب ١ : ٣) » .



الأصحاح الأول

« نشيد الأناشيد الذى لسليمان »

اهتم الروح القدس بذكر اسم كاتب هذا السفر « الذى لسليمان » ... إن سليمان اسم عبرى معناه « رجل سلام » . وهو بذلك يرمز إلى شخص المسيح المبارك « ملك السلام » ، الذى لابد وأن يملك ملكاً مجيداً وحقيقياً ...

لقد تنبأ إشعياء النبى قبل المسيح بنحو سبعة قرون قائلاً « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه . و يدعى اسمه عجيباً مشيراً . إلهاً قديراً . أباً أبدياً . رئيس السلام . لنمو رياسته وللسلام لا نهاية ، على كرسى داود وعلى مملكته ليثبّتها و يعضدها بالحق والبر » (إش ٩ : ٦ ، ٧) ...

وما كان يليق بغير سليمان أن يكتب هذا السفر ، لأن الله قد أعطاه قلباً حكيماً ومميزاً حسبما طلب حتى أنه لم يكن مثله قبله ولا يقوم بعده نظير (١مل ٣ : ١٢) ... ومن ذا الذى يوازى سليمان الحقيقى ـ ربنا يسوع المسيح « الذى صار لنا حكمة من الله و براً وقداسة وفداء » (١كو ١ : ٣٠) .

« ليقبلنى بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر » (نش ١ : ٢)

هذه الكلمات تعبر عن شوق متأجج فى قلب العروس المخطوبة نحو عريسها الشريف. لقد اقتبلت منه هدايا كثيرة، فهى لا تشتاق إلا إلى شخصه!! هى تفعل كل ما فى إمكانها لتراه ولتتمتع بحبه... وهى حين ترى ذاتها غير قادرة على التحرر من سلطان محبتها لعريسها، ولا إشباع ما فيها من رغبة، فإنها تعمد إلى الصلاة وتستسلم لها، وتقدم توسلات لله التى تعلم أنه أبو عريسها، رافعة أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال... فى ثياب حشمة مع اتضاع وتعقل (١تى ٢ : ٨)، مزينة بأفضل الزينات التى تليق بعريس شريف، وملتهبة بالشوق لعريسها، وتقول « ليقبلنى بقبلات فمه »...

لكن ما هو المعنى وراء هذه الكلمات « ليقبلنى بقبلات فمه »

سبق أن قلنا إن سفر النشيد يرمز إما إلى الكنيسة فى علاقتها بالله، أو النفس البشرية فى اتحادها بالله كما يقول العلامة أوريجينوس...

الكنيسة فى شوقها إلى عريسها تهتف بما ختم به يوحنا سفر الرؤيا «آمين تعالَ أيها الرب يسوع» (رؤ ٢٢ : ٢٠)... والنفس البشرية فى شوقها لعريسها تهتف مع القديس بولس «لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح» (فى ١ : ٢٣)... إنها لا تنسى قبلات الآب الذى وقع على عنقها وقبّلها حينما كانت تشرد وتعود تائبة (لو ١٥ : ٢٠).

والكنيسة فى شوقها للاتحاد بالمسيح، هى جماعة قديسين، وهى كشخصية متحدة تقول لعريسها: لقد شبعت من الهدايا التى اقتبلتها فى فترة خطوبتى قبل زواجى. لأنه منذ القديم -حينما كنت أستعد لزفافى لابن الملك (أنظر مت ٢٢ : ١-٤ بالمقارنة مع رؤ١٩ : ٦- ٩)... لقد وضع ملائكته القديسون فى خدمتى، وأحضروا لى الناموس كهدية خطوبة، لأنه مكتوب عن الناموس إنه مرتب بملائكة فى يد وسيط (غل ٣ : ١٩)... كما خدمنى الأنبياء الذين نطقوا بكل ما يجب أن يقال لى، ويشير إلى كل ما يختص بابن الله... هذه كلها تعتبر هدايا خطوبة... وهؤلاء الأنبياء -حتى ما يشعلوا نار أشواقى أكثر للعريس- أعلنوا بصوت نبوى عن مجيئه. وإذ امتلأوا بالروح القدس سبقوا وأنبأوا عن أعمال قوته التى لا تحصى. كما وصفوا جماله ولطفه وعاطفته، حتى ما ألتهب بمحبته...

لكن لما كان الزمان قد قارب على الانتهاء ولم يحضر العريس بعد، وأرى فقط خدامه يترددون علىّ. من أجل هذا أتقدم بتوسلى إليك يا أبا العريس حتى ما تترأف على محبتى وترسله حتى ما لا يعود فيما بعد يكلمنى بواسطة خدامه الملائكة والأنبياء، لكن ليأتى نفسه ويقبلنى بقبلات فمه... أى يضع كلمات فمه فى فمى حتى ما أسمعه يتكلم بذاته، وأراه وهو يعلّم!!

لقد وهب المسيح كنيسته حينما أتى بالجسد قبلاته... لقد كان بنفسه يكلمها بكلمات الإيمان والحب والسلام حسب وعد إشعياء، الذى

حينما أرسل قبلاً للعروس قال إنه ليس برسول أو ملاك بل الرب نفسه هو يخلصنا (إش ٣٣ : ٢٢) .

والآن ننتقل إلى العروس كالنفس البشرية ، التى رغبتها الوحيدة أن تتحد بكلمة الله (اللوغوس) وتصبح فى شركة معه ، وتدخل أسرار حكمته وعلمه ، كما لو كان إلى الحجال السمائى - حجرة الزيجة السمائية ... هذه النفس قد اقتبلت هدايا الخطوبة مثل الناموس الطبيعى والعقل والإرادة الحرة ... لقد اقتبلت التعليم من المعلمين . لكن لما لم تجد فيها الاكتفاء والشبع الكاملين لشوقها وحبها ، فلتصلى حتى ما يستنير عقل بتوليتها النقى بالاستنارة التى يُقدمها كلمة الله من خلال افتقاده ... لأنها حينما لا تنال هذه الاستنارة بواسطة خدمة أى من البشر أو الملائكة ، حينئذ تؤمن أنها اقتبلت قبلات كلمة الله نفسه !! وفضلاً عن ذلك فإن استخدام كلمة قبلات بصيغة الجمع حتى ما نفهم أن توضيح كل معنى غامض بفعل الروح القدس إنما هو قبلة لكلمة الله تُمنح للنفس المكمَّلة . وربما أشارت إلى ذلك كلمات النبى « فتحت فمى واجتذبت لى روحاً » (مز ١١٩ : ١٣١) .

يقول أوريجينوس « ليتنا نفهم أن فم العريس يعنى القوة التى بها يستنير العقل كما بكلمة محبة توجه إلى العروس ... إن القبلة المقدسة التى نعطيها بعضنا لبعض فى الأسرار المقدسة إنما هى رمز لذلك » هكذا يقول أوريجينوس (القداس الإلهى وبعض الأسرار فى الطقوس القديمة - ورد ذلك فى الدفاع الأول ليوستينوس الشهيد) .

«لأن حبك أطيب من الخمر»

النفس البشرية أو الكنيسة كجماعة مؤمنين قديسين تناجى عريسها قائلة «لأن حبك أطيب من الخمر»... إن الحب يسكر النفس، فكم وكم إذا كان حب العريس السمائى!! وحينما تسكر النفس بهذا الحب تنسى كل ما هو أرضى وتهيم فى حب الله وحده!! وهو حب أطيب من الخمر، لأن الخمر وإن كان يفرّح لكنه يذهب العقل، أما خمر الحبيب فيعطى صحوة للنفس...

فى معجزة تحويل الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل -وهى أولى المعجزات التى صنعها المسيح- لما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً ولم يكن يعلم من أين هو، دعا رئيس المتكأ العريس وقال له «كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً، ومتى سكروا فحينئذ الدون. أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن» (يو٢: ٩، ١٠)... إن الخمر التى صنعها الرب يسوع كان لها خاصية إفاقة من يشربها. لقد أفاقت رئيس المتكأ، وعلم أنها خمر من نوع فريد، وأن ما عداه هو الدون!! هكذا حبّ العريس السماوى ربنا يسوع يسكر النفس، ويعطى نشوة للعقل، لكن فى صحوة ويقظة روحيتين!!

وفى الترجمة السبعينية جاءت كلمة «ثدياك» بدل كلمة «حبك»... وكأن المؤمنين يجدون فى اللبن الإلهى المنحدر من ثديى الله عذوبة وفعالية وقوة أكثر مما للخمر... واللبن هو طعام الأطفال. ويقول المسيح «الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا

ملكوت السموات » (مت ١٨ : ٣)... وكأن النفس تعود إلى بساطة الطفولة تتعلق به و بصدره على نحو ما يفعل الطفل مع أمه...

كان الخمر يقدم قديماً للضيوف وفى مناسبات الأعياد والفرح وعند تقديم الذبائح (خر٢٩ : ٤٠ ؛ لا ٢٣ : ١٣ ؛ عدد ١٥ : ٥)... لكن حب المسيح يهب فرحاً لا يُعبر عنه ، ولا يستطيع العالم أن ينزعه من النفس «لا ينزع أحد فرحكم منكم » (يو ١٦ : ٢٢) .

كانت هناك طريقة قديمة لعصر العنب لينتج خمراً ، وذلك بسحقه ودوسه بالأقدام فى المعصرة (نح ١٣ : ١٥)... فيسيل عصير العنب الأحمر وهو الخمر. ويخرج الرجال من عملية العصير وثيابهم محمرة... ولقد رأى إشعياء النبى المسيح عظيماً فى القوة ، بهياً فى الصوة ، يجتاز المعصرة بثياب محمرة من أجل عروسه ، فقال متسائلاً :

« من ذا الآتى من آدوم بثياب حُمر من بُصرة. هذا البهى بملابسه المتعظم بكثرة قوته. أنا المتكلم بالبرّ، العظيم للخلاص. ما بال لباسك مُحمّر، وثيابك كدائس المعصرة. قد دست المعصرة وحدى ومن الشعوب لم يكن معى أحد » (إش ٦٣ : ١ - ٣) .

هذا هو الحب الفريد الأطيب من الخمر. فقد اجتاز الرب المعصرة وحده ، لا ليقدم خمراً أرضية ، بل دمه الزكى الكريم سر حياتنا وقوتنا !!

« لرائحة أدهانك الطيبة، اسمك دهن مهراق. لذلك أحبتك العذارى» (١ : ٣)

يا لها من حقائق سامية وثمينة قد اكتشفتها العروس... لم تدرك فقط أن محبة عريسها أطيب من الخمر، بل أدركت أيضاً بأن كل صفة من صفاته هى كالدهن الطيب «كل ثيابك مرّ وعود وسليخة» (مز٤٥ : ٨)... لكن متى أدركت ذلك؟! لقد أدركته من خلال هذه الخمر الجديدة، أو خلال حب عريسها الذى هو أطيب من الخمر!! إذن من خلال الحب تشتم النفس المؤمنة رائحة أدهان المسيح الطيبة، وترى اسمه دهناً مهراقاً...

على الصليب سكب المسيح للموت نفسه (إش٥٣ : ١٢)... إن هذا يذكرنا بالمرأة فى بيت سمعان الأبرص التى كسرت قارورة الطيب وسكبته على رأسه (مر١٤: ٣)، فامتلأ البيت من رائحة الطيب (يو١٢: ٣)... على الصليب سكب الرب كمال حبه، فملأ المسكونة كلها برائحته...

فاحت رائحة طيب العريس فأدركت العروس -الكنيسة- أنه هو عينه المسيح الممسوح من الله من أجل خلاصنا... هكذا شهد النبى فى المزمور «أحببت الحق وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك» (مز٤٥ : ٧؛ عب١ : ٩)... وأكد الرب أن هذه النبوة قيلت عنه، وذلك حينما قرأ سفر إشعياء فى المجمع

اليهودى بالناصرة «روح الرب علىّ، لأنه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب، لأنادى المأسورين بالإطلاق والعمى بالبصر، وأرسل المنسحقين فى الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة»، عندئذ قال لهم «إنه اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم» (لو٤ : ١٦ - ٢١؛ إش ٦١ : ١، ٢).

وبعد معجزة شفاء الأعرج من بطن أمه رفعت كنيسة الرسل صلاة إلى الله قائلة «لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذى مسحته هيرودس وبيلاطس البنطى مع أمم وشعوب اسرائيل» (أع ٤ : ٢٧).

فى العهد القديم كان بحسب الشريعة يمسح الكهنة والملوك والهيكل وكل ما بداخله وأوانى الخدمة، كانت جميعها تمسح بمسحة مقدسة... هذه المسحة للأشخاص أو للأشياء يعنى تكريسها وتخصيصها للرب (خر٤٠ : ١٥؛ ١صم١٠ : ١)، فلا يمارس الأشخاص أعمالاً دنيوية، ولا تستخدم الأوانى فى غير الأغراض المقدسة التى كُرِّست لأجلها فى خدمة الرب... والمسيح يقول «من أجلهم أقدس أنا ذاتى لكى يكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق» (يو١٧ : ١٩).

هذه المسحة التى مسح بها الله الآب ابنه الوحيد الجنس فاحت رائحتها فى السماء فاشتهما الآب رائحة رضا، إذ حملت رائحة طاعة الابن الحبيب الذى أطاع حتى الموت موت الصليب، وهى التى حولت رائحة الخطية النتنة التى عاش فيها البشر إلى رائحة المسيح الذكية (٢كو٢ : ١٥).

« لأن اسمك دهن مهراق »

لم تكن أدهان العريس الطيبة هى التى جذبت العروس لكن اسمه الذى هو كدهن مهرق ... فاسم « يسوع » معناه يهوه المخلّص ... وهذا الاسم الحلو مرتبط بحضور الله وسط البشر « عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا » ... هذا الدهن الطيب الذى يسيل من هذا الاسم الكريم قد أريق وانسكب على الصليب ... ولقد دخل الرب يسوع بهذا الدهن إلى القبر حتى ما يتنسّم الأموات رائحة الطيب عوض الفساد « ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن » (١بط ٣ : ١٩) ... وبقيامته قدم للعالم هذا الدهن المهرق الطيب ...

وإذ أهرق هذا الاسم الذى هو دهن مهرق على الصليب فاحت رائحته فى العالم . فلم يعد اسم الله معروفاً لليهود وحدهم بل لكل الأمم والشعوب ... وهكذا فإن البشرية تعرفت على اسم يسوع المخلص على الصليب ...

يقول إشعياء « إلى اسمك ، وإلى ذكرك شهوة النفس بنفسى اشتهيتك » (إش ٢٦ : ٨ ، ٩) . هذا هو العريس المبارك الذى « ليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » (أع ٤ : ١٢) .

لقد كان اسمه قبل عهد النعمة كالدهن المحفوظ داخل قارورة مختومة ، ولم يعرفه إلا القليلون معرفة جزئية من وراء ظلال الطقوس والفرائض ، أما الآن فشكراً له لأنه قد تنازل بملء نعمته الغنية وأعلن لنا

اسمه المبارك وشخصه الحبيب .

« لذلك أحبتك العذارى »

من اللائى أحببن العريس ؟ العذارى ... ليس كل الناس ، كما يقول الرسول بولس «لأننا رائحة المسيح الذكية لله فى الذين يخلصون ، وفى الذين يهلكون . لهؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حياة لحياة» (٢كو٢ : ١٥ ، ١٦) ... إن هذه الكلمات تحمل معنى النبوة . ليس جميع البشر سينجذبون لمحبة المسيح ، لكن العذارى وحدهم (أنظر مثل العذارى فى مت ٢٥) اللائى جعلن كل همهم إرضاء الرب (١كو٧ : ٣٢) ... من هم العذارى ؟!

العذراوية هنا ليست عذراوية الجسد بل عذراوية الروح ، وعذراوية النفس . والنفس العذراء هى التى لم تتزوج العالميات . وهى التى حفظت نفسها بكراً من العالم . «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم ، إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب» (١يو٢ : ١٥) .

« اجذبنى وراءك فنجرى » (نش ١ : ٤)

ما أشد حاجة المسيحى الحقيقى إلى سكب قلبه أمام الرب والتوسل إليه بهذه الطلبة اجذبنى ... نحن لا نقدر أن نأتى إلى المسيح بقوتنا الذاتية «لا يقدر أحد أن يُقبل إلىّ إن لم يجتذبه الآب» (يو٦ : ٤٤) ... هكذا لا نستطيع كمؤمنين أن نركض وراءه إن لم يجتذبنا هو... لقد عرفت

العروس حقيقة ذاتها وإنه بدونه لا تقدر أن تفعل شيئاً (يو ١٥ : ٥) ، وأن ليست فيها القوة للجرى والركض ما لم يجذبها هو وراءه ، فضلاً عن وجود عوامل جذب مضادة . لذا كانت طلباتها دائماً « اجذبنى » ، حتى جاء الوقت وقال الرب قبيل آلامه « وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىّ الجميع . قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت » (يو١٢ : ٣٢ ، ٣٣) . هذه هى الجاذبية التى خلقها الصليب فى أعماق الإنسان المؤمن ، فلا يجرى خلفه وحده بل يجتذب معه آخرين يركضون بفرح ... هذا هو سرّ الصليب . إنه يحمل قوة الشهادة وسرّ الفرح ... لقد انجذب زكا العشار للسيد المسيح ، فجمع الخطاة والعشارين ليلتقوا بالرب ويفرحوا به ، والسامرية تركت جرّتها وذهبت إلى مدينتها لتقول لأهلها . هلموا أنظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت . ألعل هذا هو المسيح . فخرجوا من المدينة وأتوا إليه (لو١٩ ؛ يو٤ : ٢٩) ... وكانت السامرة هى أول مكان فى العهد الجديد دُعى فيه المسيح مخلّص العالم .

« أدخلنى الملك إلى حجاله . نبتهج ونفرح بك . نذكر حبك أكثر من الخمر . بالحق يحبونك » (نش ١ : ٤)

طلبت العروس إلى العريس أن يجذبها وراءه . وكانت النتيجة أنه أمسك بها وأدخلها إلى حجاله الروحى فى أبهى وأبهج لقاء !!

يرى العلامة أوريجينوس فى تفسيره أن الدخول إلى الحجال هو الانتقال من تفسير كلمة الله تفسيراً حرفياً إلى التفسير الروحى العميق، والدخول بعمل الروح القدس إلى أسرار كلمة الله... ويرى البعض أن الحجال الإلهى هو سرّ المعمودية المقدس... تلتقى النفس فى جرن المعمودية بالمسيح عريساً، ويلبس الإنسان الجديد، وتلبس النفس المسيح كثوب أبيض للعرس الأبدى، تلبسه كثوب برّ وقداسة، تتزين به وتحيا به إلى الأبد... يقول بولس الرسول «لأن كلكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣: ٢٧).

وماذا فى هذا الحجال ؟! ... هناك تنبهر أبصار العروس بطلعة العريس البهية... هناك تتمتع النفس بالشركة الهادئة والمناجاة الحبيّة فى تلك الغرفة السرية... هناك السعادة الحقيقية التى تنشدها كل نفس «لأن يوماً واحداً فى ديارك خير من ألف» (مز٨٤: ١٠)... «واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى لكى أنظر إلى جمال الرب» (مز٢٧: ٤).

ثم أن العروس تعترف أن العريس هو الذى أدخلها إلى حجاله «ليس أننا كفاة من أنفسنا أن نفتكر شيئاً كأنه من أنفسنا بل كفايتنا من الله» (٢كو٣: ٥)... «بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً»... إننا كحمامة نوح التى أطلقها ليعرف حالة الأرض بعد توقف الطوفان. لما لم تجد مقراً لرجلها عادت إلى الفلك. ولكنها لم تستطع الدخول وحدها «فمد نوح يده وأخذها وأدخلها عنده إلى الفلك» (تك٨: ٩).

لقد أدرك داود هذه الحقيقة وهى أنه من ذاته لا يستطيع الدخول إلى حجال الملك ولذا قال « واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس أن أسكن فى بيت الرب ... » .

العريس هو الذى أدخلها ، ولكنه فى نفس الوقت هو الملك ... هذا هو الذى أتى المجوس من المشرق ليسجدوا له وهم يتساءلون « أين هو المولود ملك اليهود ؟ » ... وهو الذى عنه كتب بيلاطس عنواناً وُضع فوق صليبه « يسوع الناصرى ملك اليهود » !!

« نبتهج ونفرح بك »

على الرغم من أن العروس دخلت حجال الملك ـ ولا شك أن هذا الحجال كان فيه من الأمور التى تبهر النفس ـ لكن موضوع بهجة العروس وفرحها هو العريس ذاته « نبتهج ونفرح بك » ...

إن مريم المجدلية وهى عند قبر المخلص ، رأت ملاكين بثياب بيض . لكن منظرهما لم يشغل قلبها أو فكرها لأن هدفها الأوحد كان هو السيد نفسه « من لى فى السماء ومعك لا أريد شيئاً فى الأرض » (مز ٧٣ : ٢٥) .

«أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان» (نش ١ : ٥)

لقد بدأت العروس نشيدها بالتغنى بالعريس ومحبته وأنها أطيب من الخمر، وبجلال اسمه وبهاء حجاله... هناك فى جو الشركة المقدسة معه، وفى بهاء نوره قد أدركت حقيقة ذاتها، وما هى بحسب الطبيعة... وهذا الاختبار لا يمكن أن يدركه المؤمن إدراكاً صحيحاً إلا فى نور الله -أمام المسيح... فهناك داخل حجال الملك تكشفت أمام العروس حقيقة ذاتها وأنها «سوداء»...

هذا عين ما أدركه إشعياء النبى، فإنه إذ رأى السيد الرب جالساً على كرسى عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل والسيرافيم يعلنون قداسته قال «ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين. لأن عينىّ قد رأتا الملك رب الجنود» (إش ٦ : ٥)... إن النبى لم يعرف ذاته المعرفة الحقيقية ويدرك أنه إنسان نجس الشفتين إلا عندما أبصر الملك القدوس فى جلاله...

وهذا هو عين إحساس سمعان بطرس بعد معجزة صيد السمك الكثير... «خرّ عند ركبتى يسوع قائلاً أخرج من سفينتى يارب لأنى رجل خاطىء» (لوقا ٥ : ٥ - ٩).

وشاول الطرسوسى الذى اضطهد كنيسة الله بإفراط وكان يخربها، لم يعرف حقيقة ذاته إلا بعد أن «أبرق حوله نور من السماء» وسمع

صوت الرب وتحادث معه ... ومن ثم كان يعلن ضعفه «أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً» .

إن العروس تعترف بضعفها الذاتى، لكنها تعلن عن جمالها الذى اقتنته من خلال اتحادها بالمسيح يسوع ربها قائلة «أنا سوداء يا بنات أورشليم كخيام قيدار» ... وقيدار منطقة صحراوية بسوريا حالياً، اسمها يكشف عن سوادها ... فقيدار هو من نسل اسماعيل (تك ٢٥ : ١٣) ومعناه الأسود ... وهو من نسل الجارية الذى يعتبر صورة للخطية الساكنة فى الإنسان. وكان بنو قيدار -حيثما حطوا رحالهم- يسكنون خياماً سوداء ...

«سوداء وجميلة» سوداء كخيام قيدار وجميلة «كشقق سليمان» الناصعة البياض ... هاتان الصفتان المتضادتان تبينان حالة الإنسان المؤمن. فهو بحسب طبيعته وارث لطبيعة آدم الساقطة «ليس ساكن فىّ أى فى جسدى شىء صالح» (رو ٧ : ١٨)، لكنه فى المسيح إنسان جديد، ابن الله وشريك الطبيعة الإلهية (٢بط ١ : ٤) ...

يقول القديس أغسطينوس «كان الرسول بولس قبلاً مجدفاً ومضطهداً وضاراً. كان فحماً أسود غير متقد. لكنه إذ نال رحمة التهب بنار من السماء. لقد ألهبه صوت المسيح ناراً، وأزال كل سواد كان فيه. لقد صار ملتهباً بحرارة الروح. حتى ألهب آخرين بذات النار الملتهبة فيه». هكذا الإنسان قبل اتحاده بالمسيح.

يقول القديس أمبروسيوس أسقف ميلان «إذ لبست النفس تلك الثياب فى جرن المعمودية، تقول فى نشيد الأناشيد: أنا سوداء وجميلة (كاملة) يا بنات أورشليم. إنى سوداء حسب الضعف البشرى، كاملة حسب سر الإيمان» (فى الأسرار ٧).

ويقول أيضاً «الكنيسة سوداء بخطاياها، كاملة بالنعمة. إنها سوداء بالطبع البشرى، كاملة بالخلاص... سوداء بأتربة الجهاد، كاملة عندما تتكلل بحلى النصرة» (الروح القدس.١١٢).

ومهما يكن الأمر، فنحن نجد فى هذه العبارة «أنا سوداء وجميلة» علاجاً روحياً... فحينما يحارب الإنسان بالبرّ الذاتى يذكر «أنا سوداء»، وحينما يحارب بصغر النفس يذكر قول العروس «أنا سوداء وجميلة».

وللعلامة أوريجينوس تفسير خاص لعبارة «سوداء وجميلة»... إنه يفسر بنات أورشليم على أنهم اليهود والسوداء على أنها كنيسة الأمم... يقول:

«تتكلم العروس مرة ثانية. ولكنها فى هذه المرة لا تتوجه بكلامها إلى العذارى اللاتى ركضن معها، لكن إلى بنات أورشليم اللاتى اتهمنها بالقبح. فهى تجيب قائلة أنا حقاً سوداء بحسب طبيعتى، لكن إن أمعن أحد النظر فى ملامحى الداخلية فأنا جميلة. لأن خيام قيدار سوداء»...

« من جهة المعنى السرّى . إن هذه العروس التى تتكلم تمثل كنيسة الأمم . لكن بنات أورشليم اللاتى توجه كلامها إليهن هنّ نفوس الذين يوصفون بأنهم أحباء من أجل الآباء من جهة الاختيار ، ولكنهم أعداء من جهة الانجيل (رو ١١ : ٢٨) . هؤلاء إذن هم بنات أورشليم الأرضية ، الذين ينظرون إلى كنيسة الأمم فيحتقرونها و يذمونها بسبب مولدها وأصلها الوضيع لأنه لا يجرى فيهم دماء ابراهيم واسحق و يعقوب . لأجل كل هذا هى تنسى شعبها و بيت أبيها وتأتى للمسيح (مز ٤٥ : ١١) » .

« إن بنات الشعب الأول يتهمنها بهذه التهم ولذلك يدعونها سوداء لأنها لم تَسْتَنِرْ بتعاليم الآباء . وتجيب على اعتراضهم : أنا حقاً سوداء يا بنات أورشليم . أنا فى هذا لا أدعى انحدارى عن رجال مشاهير . ولا أنا اقتبلت الاستنارة بناموس موسى . لكن لى جمالى الخاص . يوجد فىّ الجمال الأول صورة الله التى خلقت عليها حينما أتيتُ الآن إلى كلمة الله (اللوغوس) نلت جمالى بسبب سواد لونى تقارنوننى بخيام قيدار . ولكن حتى قيدار انحدر من اسماعيل ، واسماعيل كان له نصيب فى البركة المقدسة (تك ٢٥ : ١٣ ؛ ١٦ : ١١) ... أنا سوداء بسبب أصلى الوضيع ، ولكنى جميلة من خلال التوبة والإيمان ، لأنى اتخذت لنفسى ابن الله . لقد أخذت الكلمة الذى صار جسداً . أنا أتيت إلى ذاك الذى هو صورة الله بكر كل خليقة الذى هو بهاء مجده ورسم جوهره (يو ١ : ١٤ ؛ كو ١ : ١٥ ؛ عب ١ : ٣) » ...

ثم يعرض أوريجينوس -إثباتاً لرأيه- لبعض أحداث العهد القديم وما ورد فيه من عبارات فيها إشارة إلى دعوة الأمم (السوداء) ودخولها فى الإيمان المسيحى :

(أ) زواج موسى النبى بالمرأة الكوشية (الحبشية) ذات البشرة السوداء، الأمر الذى أثار أخته مريم فتكلمت ضده، لهذا ضربت بالبرص (عدد ١٢ : ١- ١٠)... إن هذا صورة رمزية لاتحاد المسيح بكنيسة الأمم الذى أثار اليهود حتى رفضوا الإيمان به، وصاروا يعيرون الأمم بماضيهم...

(ب) قصة ملكة سبأ* التى جاءت لتسمع حكمة سليمان (١مل ١٠)، حملت رمزاً لكنيسة الأمم. وقد أشار المسيح إليها وهو يوبخ اليهود «ملكة التيمن (الجنوب- سبأ) ستقوم فى يوم الدين مع هذا الجيل وتدينه لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان. وهوذا أعظم من سليمان ههنا» (مت ١٢ : ٤٢).

لقد جاءت ملكة سبأ إلى سليمان وتكلمت معه بكل ما فى قلبها (١مل ١٠ : ٢)، وامتحنته بأسئلة وألغاز ظنت أنها بلا إجابة... لكن سليمان الحقيقى -ربنا يسوع المسيح- حل كل ما عسر عليها فهمه وأعلن لها معرفة الإله الحقيقى، وأوضح لها خلود النفس والدينونة الأخيرة...

---

* بلاد سبأ جنوبى الجزيرة العربية- وهو أكبر أبناء كوش تك ١٠:٧؛ ١أى ١ : ٩- فى الأصل العبرانى شبأ- ذكرها المسيح باسم بلاد التيمن أى بلاد الجنوب- وتأتى فى المصادر العربية باسم بلقيس.

الأمور التى عجز الفلاسفة أن يوضحوها للأمم بالحق.

حين رأت الملكة ما لسليمان من مجد وعظمة «لم يبقَ فيها روح بعد» (١مل ١٠: ٥). والكنيسة إذ تكتشف أسرار مسيحها المتألم تذوب حباً، ولا تطيق البعد عنه، بل تشتهى أن تكون معه.

لقد قدمت ملكة سبأ للملك سليمان مئة وعشرين وزنة ذهب (١مل ١٠: ١٠) وهو ما سمح به الرب أن يكون عليه عمر الإنسان زمن نوح (تك٦: ٣) وهى سنى حياة موسى النبى (تث ٣٤: ٧)... والمعنى أن كنيسة الأمم أرادت أن تقدم كل عمرها كوزنات ذهبية، أى تحمل الطبيعة السماوية.

قدمت أيضاً أطياباً كثيرة (١مل ١٠: ١٠)، وهى تقدمة الحب التى يتقبلها المسيح من الخطاة التائبين.

(جـ) يقول داود بروح النبوة «يأتى شرفاء من مصر. كوش تسرع بيديها إلى الله. يا ممالك الأرض غنّوا لله، رنموا للسيد. للراكب على سماء السموات القديمة» (مز ٦٨: ٣١- ٣٣)... إنها نبوة عن كنيسة الأمم التى تبسط يديها لله فتصير جميلة. ومن خلالها ينطلق لسان ممالك الأرض بالتسبيح لله.

(د) ويقول صَفَنْيا بروح النبوة «فانتظرونى يقول الرب... لأنى حينئذ أحوّل الشعوب إلى شَفَةٍ نقية ليدعو كلهم باسم الرب، ليعبدوه بكتف واحدة. من عبر أنهار كوش المتضرعون إلىّ. مُتَبدّدىّ يقدّمون

تقدمتى» (صفنيا ٣ : ٨- ١٠)... إنها نبوءة عن تحول الشعوب الأممية إلى شفاه تسبيح نقية، وتعبر أنهار كوش أى تترك سوادها والظلمة التى تعيشها لتعبد الله الحى وتقدم ذبيحة المسيح .

وفى الكتاب أقوال كثيرة تشهد لهذه السوداء الجميلة وتؤكد أنها سوداء كخيام قيدار، لكنها جميلة كشقق أو ستائر سليمان فى بيت الرب .

وثمة ملاحظة أخرى ... على الرغم من أن المتكلم يبدو كشخصية واحدة. إنها تشبه نفسها بخيام قيدار (بصيغة الجمع) وبشقق سليمان (بصيغة الجمع أيضاً). وهذا إشارة إلى أن المتكلم هو مجموعة كنائس الأمم المنتشرة فى العالم.

«لا تنظرنَ إلىّ لكونى سوداء، لأن الشمس قد لوّحتنى. بنو أمى غضبوا علىّ. جعلونى ناطورة الكروم. أما كرمى فلم أنطره» (نش ١ : ٦)

كان حرياً باليهود الذين عرفوا الإله الحىّ أن يكرزوا للأمم بهذا الإله فى ظل اليهودية لكن المسيح يوبخهم بقوله «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون... ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنك تطوفون البحر والبرّ لتكسبوا دخيلاً واحداً.

ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً » (مت ٢٣ : ١٣، ١٥) ...

وأود أن أشير هنا إلى ما جاء بمثل الابن الضال فى انجيل معلمنا لوقا (١٥ : ١١- ٣٢) فإلى جانب أن هذا المثل يتكلم عن محبة السيد المسيح للخطاة. نجد أن الإبنان يشيران للعالم فى ذلك الوقت الذى كان منقسماً إلى يهود وأمم. فالإبن الأكبر فى هذا المثل يشير إلى اليهود لأن معرفتهم لله والوحدانية سابقة لمعرفة الأمم (الابن الأصغر). ونلاحظ كلمات الابن الأكبر حينما عاد. وشعوره من نحو أخيه « فدعا واحد من الغلمان وسأله ما عسى أن يكون فقال له أخوك جاء فذبح أبوك العجل المسمن لأنه قبله سالماً، فغضب **ولم يرد أن يدخل** » (١٥ : ٢٦- ٢٨). ثم يأتى حديثه مع أبيه « لما جاء ابنك هذا (ولم يقل أخى) **الذى أكل معيشتك مع الزوانى** ذبحت له العجل المُسمن » هذا بالرغم من أن السيد المسيح لم يذكر أنه أكل معيشته مع الزوانى بل « بذر ماله بعيش مسرف » (١٥ : ١٣) فهذا يمثل شعور اليهود (الابن الأكبر) من جهة الأمم . وهذا يظهر روح الكبرياء والغطرسة والازدراء.

كان خليقاً باليهود المتنصرين أن يسندوا الأمم ويكرزوا لهم بالصليب، لكنهم عوض الكرازة وقفوا يعيرونهم بالسواد وبوضاعة أصلهم وشرورهم السابقة بسبب الوثنية ...

أما الأمم فأجابوا بأن سوادهم لم يجبلوا إليه، ولا يرجع إلى أنهم من طينة غير طينة اليهود لكن لأنهم نزلوا تحت الشمس فلوّحتهم !!

يقول أوريجينوس « صارت سوداء لأنها نزلت (تحت الشمس)، لكنها حالما بدأت تطلع (نش ٨ : ٥ - من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها) مستندة على ابن أختها (الذى جاء من نسل داود حسب الجسد) وملتصقة به، ولا تسمح بشيء يفصلها عنه، حتى صارت بيضاء وجميلة. إن سوادها يتبدد تماماً وتضيء بأشعة النور المحيط بها. هكذا تعتذر كنيسة الأمم لبنات أورشليم (اليهود) عن سوادها قائلة: لا تحسبن يا بنات أورشليم أن السواد الظاهر على وجهى طبيعى، لكن لتفهمن أنه قد حدث بسبب تجاهل شمس العدل (البرّ) لى. فإن «شمس العدل» لم يصوب أشعته علىّ مباشرة، لأنه وجدنى غير مستقيمة. إننى شعب الأمم الذى لم يتطلع إلى شمس العدل ولا وقفت أمام الرب... فإننى إذ لم أؤمن فى القديم اختارك الله ونلتِ أنتِ رحمة واهتم بكِ «شمس العدل»، بينما تجاهلنى أنا، ولوّحنى بسبب عصيانى وعدم إيمانى. أما الآن فإنك إذ صرتِ غير مؤمنة وعاصية، صار لى رجاء أن يتطلع (شمس العدل) إلىّ أنا فأجد رحمة».

إن هذا يوضح ما قاله الرسول بولس «إن القساوة قد حصلت جزئياً لاسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم... فإنه كما كنتم أنتم مرة لا تطيعون الله ولكن الآن رحمتم بعصيان هؤلاء» (رو١١ : ٢٥، ٣٠)... كان الأمم فى القديم مثقلين بشمس التجارب، محرومين من شمس العدل

(البر)، فأعطيت الفرصة لاسرائيل أن يختاروا و ينعم عليهم بالرحمة. أما الآن إذ رفض اليهود المسيح شمس البر وسقطوا تحت العصيان وعدم الإيمان، تمتعت كنيسة الأمم بالمسيح شمس البرّ... لقد زال عنها سوادها القديم بإشراق شمس البرّ عليها. ولم تعد شمس الخطية تقوى عليها كما يقول المرتل «لا تحرقك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل» (مز١٢١: ٦).

« بنو أمي غضبوا عليّ . جعلوني ناطورة الكروم. أما كرمي فلم أنطره »

من هم بنو أمي .. أمي هنا تشير إلى اليهود، لأن اليهود والأمم من أم واحدة. أما بنو أمي فيشيرون إلى الرسل... لكن كيف «غضبوا عليّ» ؟... إن هؤلاء الرسل لم يكفوا عن العمل بين الأمم الوثنية معلمين ببطلان عبادة الأوثان هادمين كل أبراج الشر وحصون التعاليم الخاطئة والمعتقدات الخرافية... وعوض تغلغل الفساد بين الأمم، فبإيمانهم صاروا حارسين لكرم الرب وحفظة للناموس والأنبياء... أما «كرمها الخاص» أي تعاليمها الوثنية فلا تعود تحفظها أو تحرسها.

«أخبرني يا من تحبه نفسي أين ترعى أين تُربض عند الظهيرة. لماذا أنا أكون كمُقَنَّعة عند قطعان أصحابك» (نش ١ : ٧)

رأينا المسيح في حديث العروس عريساً ثم رأيناه ملكاً... لكن ليس

ملكاً كسائر الملوك، لكن كما يقول النبى قديماً «قولوا بين الأمم إن الرب قد ملك على خشبة» (مز٩٦: ١٠ الترجمة القبطى)... والخشبة هى خشبة الصليب فهو ملك لكن ملكه ليس من هذا العالم...

لقد تعاملت العروس معه أولاً كالعريس وهنا إظهار للحب- ثم تعاملت معه كالملك الذى جذبها بمحبته التى أظهرها من خلال آلامه- والآن تتعامل معه كالراعى وهنا تظهر عنايته ورعايته للعروس...

« أخبرنى يا من تحبه نفسى »

أخبرنى ... كلمة تدل على الدالة [فى لقاء ابراهيم مع الرب فى صورة الثلاثة رجال -قبل إحراق سدوم- الدالة لا أخفى عن عبدى ابراهيم ما أنا فاعله (تك١٨: ١٧- ٣٣)].

« يا من تحبه نفسى »

يقول القديس غريغوريوس أسقف نيصص «هذا هو الإسم الذى أدعوك به (يا من تحبه نفسى)، لأن اسمك فوق كل الأشياء، وهو غير مدرك حتى بالنسبة لكل الخلائق العاقلة. هذا الاسم يعلن عن صلاحك، ويجذب نفسى إليك. كيف أقدر ألا أحبك، يا من أحببتنى هكذا وأنا سوداء. فبذلت ذاتك من أجل القطيع الذى هو موضوع رعايتك» (تفسيره على النشيد).

« أين ترعى أين تُربض عند الظهيرة »

عندما تستبد المخاوف بالإنسان يبحث عن الراعى الذى يرعاه ويحميه... هذا ما فعله داود حين اشتدت عليه التجارب فقصد بيت الله وهتف بالمزمور الخالد « الرب نورى وخلاصى ممن أخاف ... » (مز ٢٧) .

إن موضع الراحة بالنسبة للنفس المتعبة هو بيت الله حيث تلتقى فيه بالرب الراعى والمخلّص... ففى بيته نلنا نعمة النبوة ونغتذى على جسده ودمه الأقدسين ونستظل ـ لا فى ظل القدير ـ لكن تحت صليبه .

العروس تسأله « أين تربض » أين تستريح ؟ لأنها تريد أن تستريح فيه ، و يستريح هو فيها « الله المستريح فى قديسيه » .

لكن ماذا عن وقت الظهيرة ؟

حيث تكون الشمس فى قوتها... هكذا رآه يوحنا فى الرؤيا « ووجهه كالشمس وهى تضىء فى قوتها » (رؤ ١ : ١٦)... ولا يتمتع أحد بالشمس هكذا إلا إن كان ابن النور وابن النهار (اتس ٥ : ٥)... إن الشمس فى قوتها تشير إلى شمس البرّ وهو فى كمال بهائه... إن العروس تريد أن تلتصق بالرب حبيبها وهو فى ملء عظمته .

وأيضاً لماذا اللقاء وقت الظهيرة ؟!

(١) كان لقاء ابراهيم بالسيد الرب ومعه ملاكين وقت الظهيرة (تك ١٨ : ١)... وفيه كان الوعد بأن يكون لسارة ابن تتبارك فيه جميع

قبائل الأرض ... كان مستودع سارة ميتاً ، وكان ابراهيم شيخاً متقدماً فى السن ... إن إنجاب اسحق يمثل القيامة من الموت (مستودع سارة الميت) ... لقد أقام الرب من موت ابراهيم وسارة حياة . هكذا بالحب نختبر قوة القيامة فينا .

(٢) وفى وقت الظهيرة التقى يوسف بأخيه الأصغر بنيامين (تك ٤٣ : ١٦) ، وفى هذا اللقاء أنّت أحشاؤه ، ودخل إلى المخدع وبكى ... إن كلمة بنيامين تعنى «أبناء اليمين» هكذا فى لقاء العريس والراعى كأبناء اليمين تحن أحشاؤه علينا .

(٣) ووقت الظهيرة التقى الرب يسوع بشاول الطرسوسى (أع ٢٦ : ١٣) معلناً عن حبه ، فاكتشف الراعى الحقيقى الحىّ الذى لا يموت ، وصار إناءً مختاراً يحمل اسم المسيح لكثيرين .

(٤) وفى هذه الساعة التقى المسيح بالمرأة السامرية وما كان من أمر إيمانها هى وأهل بلدتها .

(٥) ووقت الظهيرة يذكرنا بالساعة السادسة واليوم السادس حيث صلب المخلص من أجل خلاصنا والعالم كله ، مدفوعاً بمحبته لجبلته الساقطة .

+ إن العروس فى سؤالها أين ترعى أين تُربض ، تدل على أنها تريد أن تعرف الطريق لئلا تضلّ إلى طريق أخرى ... لأن فى الطريق الحقيقى تتقابل النفس مع المسيح ...

لماذا أنا أكون كمقنعة عند قطعان أصحابك ؟

مقنعة أى محجبة تضع قناعاً أو حجاباً ... ويرى القديس جيروم أن هذا القناع يشير إلى « برقع الشريعة القديمة » ... فالعروس إذ تلتقى براعيها عند الصليب وقت الظهيرة لا تعود تلبس قناعاً (حجاباً) لقد انشق حجاب الهيكل ، وأصبحنا ننظر مجد الرب بوجه مكشوف (٢ كو ٥ : ١٨) ... إن ذلك يشير إلى الدالة والحب ... لا نحتاج إلى برقع مثل موسى ، بل ندخل إلى أسرار الله ونكون فى حضرته .

« إن لم تعرفى أيتها الجميلة بين النساء فاخرجى على آثار الغنم ، وارعى جداءك عند مساكن الرعاة » (نش ١ : ٨)

هذا أول كلام للعريس فى سفر النشيد ... إنه ينادى العروس بقوله « أيتها الجميلة بين النساء » ... إن لها جاذبية عظمى عنده لأنه صار موضوع محبتها وإعزازها : [يا من تحبه نفسى ...] ... إن المحبة هى قوة الجذب الكبيرة سواء بالنسبة لله أو للمؤمنين من أولاده ... إذ من لا ينجذب بل يذوب من محبة الرب له « الذى أحبنى وبذل ذاته لأجلى ... » وبالمثل الله « إن أعطى الإنسان كل ماله عوض المحبة تحتقر احتقاراً » « الذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى » (يو ١٤ : ٢١) ... إنها ليست جميلة بل « الجميلة بين النساء » رغم سوادها كخيام قيدار ، فقد صارت من فرط نعمته جميلة كشقق سليمان « بنات كثيرات عملنَ فضلاً ، أما أنتِ فقد فقتِ عليهن جميعاً » (أم ٣١ : ٢٩) ...

« فاخرجى على آثار الغنم »

« إن لم تعرفى ... » عبارة يرددها العريس للعروس فى صيغة التوبيخ اللطيف لأنها كانت يجب أن تعرف أين يرعى وأين يُربض وقت الظهيرة !!

« **فاخرجى** على آثار الغنم » ... يقول رب المجد « إن دخل بى أحد فيخلص . و يدخل ويخرج ويجد مرعى » (يو١٠ : ٩) ... فلا يكفى أن ندخل فقط إلى حجاله ومراعيه حيث التمتع بالحبيب وحيث الشبع والأمن والسلام ، لكن علينا أن نخرج للجهاد « فلنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا » (عب ١٢ : ١) ... قد يكون الخروج مؤلماً لأنه يحرم من اللذة والمتعة الروحية ، لكن يكفينا أن الرب خرج سابقاً لنا أولاً ، فقد سار كالشاهد الأمين فى طريق الآلام تاركاً لنا مثالاً لكى نتبع خطواته « فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره » (عب ١٣ : ١٣)

« **على آثار الغنم** » ... ماذا يعنى بآثار الغنم ؟ إن هذه تشير إلى الآباء القديسين السابقين أو المجاهدين الذين مازالوا يسيرون مسيرة الجهاد ... هكذا يدعونا الرسول « اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله . أنظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم » (عب ١٣ : ٧) ... « كونوا متمثلين بى كما أنا أيضاً بالمسيح » (١كو١١ : ١) ... « وأنتم صرتم متمثلين بنا و بالرب » (١تى ١ : ٦) ... « كونوا متمثلين بى معاً أيها الأخوة ولاحظوا الذين يسيرون هكذا كما نحن عندكم قدوة » (فى ٣ :

١٧) . وتبارك إلهنا المبارك الذى ترك لنا آثار الغنم حية باقية فى كتابات الآباء القديسين وسيرهم وجهادهم وأعمالهم .

ولعل هذا يوضح لنا قيمة وأهمية الكنائس القديمة التى اتبعت التقليد القديم متمسكة بتراث الآباء « مبنيين على أساس الرسل والأنبياء و يسوع المسيح نفسه حجر الزاو ية » (أف ٢ : ٢٠) .

« وارعى جداءك »

هناك أقوال كثيرة فيمن ترمز إليهم الجداء ، لكننا نعتقد أنهم إما المؤمنين اسماً وغير الصالحين البعيدين عن الله ، وإما غير المؤمنين على الإطلاق على نحو ما جاء فى كلام المسيح عن الدينونة الأخيرة « يقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار » (مت ٢٥ : ٣٣) ... إنه تحذير لنا من الرب . فيجب أن نهتم بأخوتنا سواء البعيدين أو غير المؤمنين ... يجب أن تتملكنا الغيرة بالنسبة للذين لم يتذوقوا حلاوة الرب « الكآبة ملكتنى من أجل الخطاة الذين لم يحفظوا ناموسك » (مز ١١٨) .

إنه يقول لها « **جداءك** » ... إن هذا يُشعر بالمسئولية وإحساسنا أن هؤلاء المعتبرين جداء" هم مسئوليتنا ، وعلينا أن نقدم لهم المسيح المخلص ـ ولو بدون كلمة ـ (١بط ٣ : ١) ... إن انجيل المسيح هو قوة الله للخلاص لكل من يؤمن (رو١ : ١٦) .

« عند مساكن الرعاة »

والمقصود بمساكن الرعاة الكنيسة وفيها الرعاة الذين أقامهم الرب

لرعاية خرافه الناطقة - أولئك الذين يكتب إليهم بطرس الرسول «ارعوا رعية الله التى بينكم نظاراً لا عن اضطرار بل بالاختيار، ولا لربح قبيح بل بنشاط . ولا كمن يستولى على ميراث الله ، بل صائرين أمثلة للرعية . ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون اكليل المجد الذى لا يبلى» (١بط ٥ : ٢-٤) .

«لقد شبهتك يا حبيبتى بفرس فى مركبات فرعون» (نش ١ : ٩)

عرف سليمان أن جياد الخيل لا توجد إلا فى مصر، حتى أنه وجميع ملوك الحيثيين وملوك آرام كانوا يشترونها من هناك (١مل ١٠: ٢٨، ٢٩ ؛ ١أى ٩: ٢٥، ٢٨)... وإذا كانت أجود الخيل هى خيول مصر، فمن غير شك كان فرعون ينتقى أفضلها... «فرس فى مركبات فرعون» !! ومما لا ريب فيه فإن تلك الخيل كانت مدرّبة للسير معاً وهى تجر المركبات فى توافق وانسجام تامين !! إن فى هذا مغزى جميل . فمن واجبنا كمؤمنين أن ندرب أنفسنا على خدمة سيدنا وملكنا والعيشة مع أخوتنا فى وفاق وانسجام «مفتكرين فكراً واحداً . ولكم محبة واحدة بنفس واحدة، مفتكرين شيئاً واحداً» (فى ٢ : ٢) .

لقد شُبهت الكنيسة فى سفر الرؤيا بفرس أبيض والجالس عليه معه قوس وقد أُعطى إكليلاً وخرج غالباً ولكى يغلب (رؤ٦ : ٢)... ودُعى الرب رب الكنيسة «الجالس على الفرس» (رؤ١٩ : ١٩، ٢١) .

وتستخدم الخيل فى اللغة للتعبير عن القوة والقدرة فى المعارك الحربية .

كما تشير الخيل إلى قوة الله السماوية العلوية... وإيليا أُصعد إلى السماء فى مركبة نارية يجزها خيل...

وبينما كان ملك آرام يحارب ملك اسرائيل ، كشف الله عن عينى جيحزى تلميذ أليشع «أبصر وإذا الجبل مملوء خيلاً ومركبات نار حول أليشع» (٢مل٦ : ٨) .

أما قوله « فرس فى مركبات فرعون » ، ربما ليؤكد أنه وإن صار المؤمنون كخيل للرب يحملون السمة السماوية ، لكنهم فى نفس الوقت « مركبات فرعون » أى يعيشون على الأرض فى مصر - رمز الغربة...

يتكلم بولس الرسول عن المؤمنين والحرب الروحية فيقول «لسنا حسب الجسد نحارب . إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية ، بل قادرة بالله على هدم حصون. هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح» (٢كو١٠ : ٣- ٥) .

والعروس ترى فى سفر النشيد مراراً فى زى حربى ، وفى صورة الجهاد . فهى «مرهبة كجيش بألوية»(نش ٦ : ٤، ١٠) ... هذه هى الحالة التى يجب أن يكون عليها المؤمن ، فلا يكفى أن يعرف أنه عروس المسيح ولكن عليه أن يعرف أن يكون جندياً صالحاً ليسوع المسيح ، وعليه أن يجاهد تحت لواء القائد الأعلى الرب يسوع المسيح .

«ما أجمل خديّك بسُمُوطٍ وعنقك بقلائد. نصنع لك سلاسل من ذهب مع جُمانٍ من فضة» (نش ١ : ١٠، ١١)

السموط هى صفوف الجواهر- والجمان هو اللؤلؤ- أى حباتٍ من فضة كاللؤلؤ.

جمال خدى العروس وعنقها ليس طبيعياً. لأن العريس هو الذى خلعه عليها. وهذا هو الذى أكسبها جمالاً... هكذا نحن الذين بالإثم حبل بنا وبالخطية ولدتنا أمهاتنا- ليس فينا جمال...وهل كان لأعناقنا شيء من الجمال ونحن غلاظ الرقاب. لكن شكراً لإلهنا الذى ألبسنا ثياب الخلاص وكسانا رداء البر مثل عروس تتزين بحليها (إش ٦١ : ١٠)، ومن أجل «زينة الروح الوديع الهادىء الذى هو قدام الله كثير الثمن» (١بط ٣ : ٤).

إنِ العريس هو الذى زين عروسه وجمّلها بالفضائل فلم يبقَ فيها أمام عينيه ما يشينها «كلك جميل يا حبيبتى ليس فيك عيبة» (نش ٤ : ٧)... إن العريس فى إعجابه بعروسه -مع أنها لا تزال فى البرية- يراها كاملة فى كماله هو، كما أن رفقة كانت قد ازدانت بجواهر اسحق قبل أن تصل إليه !!

إذ رأى العريس أن السموط والقلائد الذهبية قد زينت العروس وجعلتها جميلة فى عينيه، قصد فى نعمته الغنية أن يزينها أكثر، فكشف لها عما يخلج نفسه بقوله «نصنع لك سلاسل من ذهب مع جمان من

فضة » ... إنه هو الذى ابتدأ فيها عملاً صالحاً ، لابد وأن يكمل إلى يوم مجيئه ...

إن رب المجد يريد أن يكون المؤمن متحلياً ومزيناً بالفضائل المسيحية ، ونامياً دائماً فى النعمة وفى معرفته ، لأن المعرفة « هى خير من الذهب المختار وكل الجواهر لا تساويها » . ولابد أن يأتى سريعاً ذلك العريس المبارك ـ الذى من أجل حبه لنا كلل بإكليل الشوك ـ ويصنع بيده المباركة إكليلاً مرصعاً ـ لا بالجمان والفضة ـ بل بالمجد الذى لا يبلى ولا يتدنس ولا يضمحل !!

نلاحظ هنا كلمة « نصنع » بصيغة الجمع . إن فى ذلك إشارة إلى عمل الثالوث القدوس ، على نحو ما قيل عند بدء الخليقة « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا » (تك ١ : ٢٦) ...

إن فى سلاسل الذهب والجمان من الفضة صورة رمزية للنعمة والبر الإلهيين ... إن الذهب يرمز إلى كل ما هو إلهى والفضة ترمز إلى الفداء (١بط ١ : ٨) .

« ما دام الملكُ فى مجلسه أفاح ناردينى رائحته » (نش ١ : ١٢)

المعنى الحرفى لهذه الآية هو « ما دام الملك جالساً أو متكئاً على مائدته فالناردين الذى لى تفوح رائحته الذكية » .

هنا نرى مشهداً جديداً، إنه ليس مشهد الراعى وقطيعه، ولا هو مشهد الحرب والجهاد. لكن الروح القدس يأتى بنا إلى الأقداس حيث «الملك جالساً على مائدته»، وهذا يقودنا إلى الوصف الرائع لمائدة سليمان الملك... «وكان طعام سليمان لليوم الواحد ثلاثين كُرّ سميذ وستين كرّ دقيق وعشرة ثيران مسمنة وعشرين ثوراً من المراعى ومئة خروف ماعدا الأيائل والظباء واليحامير والأوز المسمّن»... وهذه الأطعمة الفاخرة كانت «للملك سليمان ولكل من تقدم إلى مائدة الملك سليمان» (١مل ٤: ٢٢، ٢٣، ٢٧). وكان طعام مائدته من بين الأمور التى أدهشت ملكة سبأ حتى لم يبقَ فيها روح بعد. (١مل ١٠: ٥)...

ولكن المسيح يقول عن ذاته «وهوذا أعظم من سليمان ههنا»... إن ربنا يسوع المسيح هو الملك الحقيقى، بل ملك الملوك ورب الأرباب... وفى أى وقت نقترب إليه ونلتف حوله كخاصته المحبوبة نجده متكئاً على مائدته مهيئاً طعاماً دسماً لأن «أمامه شبع سرور وفى يمينه نعم إلى الأبد» (مز١٦: ١١)... ومع أننا نسير فى غربتنا فى أرض مقفرة ومكان بلا ماء، إلا أنه «يرتب قدامنا مائدة تجاه مضايقينا» (مز٢٣: ٥) فنأكل ونشبع ونرتوى «كما من شحم ودسم تشبع نفسى وبشفتى الابتهاج يسبحك فمى» (مز٦٣: ٥)... نعم إننا إذ تغتذى نفوسنا به، تفيض فى حضرته قلوبنا بأغانى الحمد والتسبيح وتنسكب عواطفنا بالسجود والتعبد له فتنتعش نفسه برائحة الناردين الخالص الكثير الثمن

«أغنى للرب فى حياتى . أرنم لإلهى ما دمت موجوداً ، فيلذ له نشيدى » (مز١٠٤ : ٣٣ ، ٣٤) .

إن كلمات العروس تذكرنا بما حدث فى بيت عنيا بعد إقامة لعازر من الأموات فقد عمل للرب يسوع عشاء ، وكان لعازر أحد المتكئين معه وأما مرثا فكانت كعادتها تخدم ، بينما كسرت مريم قارورة طيب خالص كثير الثمن ودهنت به قدميه ومسحتهما بشعرها . و يعتبر لعازر صورة للمؤمنين الحقيقيين الذين صارت لهم شركة مع المسيح بعد أن أقيموا روحياً . ومرثا تعتبر صورة للخدام النشطين ، أما مريم فتقدم صورة للقديسين الذين امتلأت قلوبهم بمحبة الرب وتكرست له ولعبادته !!

« ناردينى » !!

ومع أن العروس فى ذاتها لا تملك شيئاً ، وليس الناردين الذى معها إلا من هباته لها ومن « ثمر الروح » الساكن فيها ، إلا أنها تعتبر أن هباته صارت ملكاً لها !! ومع ذلك تعود وتقدمها له « لأن منك الجميع ، ومن يدك أعطيناك » (١أى ٢٩ : ١٤) .

«صرة المُرّ، حبيبى لى ، بين ثديى يبيت » (نش ١ : ١٣)

إن وصف العريس بأنه « صرة المر» إنما يشير إلى أنه « رجل أوجاع ومختبر الحزن » (إش٥٣ : ٣) ... كان الرب يسوع رجل أوجاع وآلام فى حياته وفى مماته . وللمر علاقة به من بدء حياته بالجسد على الأرض إلى

ختامها . فبعد ولادته قدم له المجوس هدايا من بينها المر . وعلى الصليب قال « أنا عطشان » فأعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ... وما أعمق التعبير « صرة المر » ، وكأن كل أنواع الآلام والأحزان اختبرها « مجرباً في كل شيء مثلنا بلا خطية » (عب ٤ : ١٥) .

والعروس وقد أدركت هذه الحقيقة ، زادها ذلك تعلقاً به لذا تقول عنه « صرة المر ، حبيبي لى » أى أن هذا الحبيب هو حبيبها وقد امتلكته .

استخدمت عبارة « صرة المر » لأنه بحسب الشريعة كل شيء غير مربوط أو مغلق يكون دنساً (عدد ١٩ : ١٥) ، والنفس التى تمس ما هو دنس تتدنس . أما الرب يسوع فليس فيه قط عيب ، بل كل ما فيه طاهر ونقى . تتلامس معه النفس فتتقدس .

لم تقل « فى قلبى يبيت » بل « بين ثديى يبيت » .. لعل هذا التعبير مأخوذ عن عادة قديمة حينما كانت الزوجة تعلق فى عنقها ما يشبه السلسلة بها صورة مصغرة لزوجها الغائب علامة حبها وولائها له . وكانت هذه الصورة تستقر على صدرها (بين ثدييها) .

وللملك ثديان هما العهد القديم والعهد الجديد ، بهما تغتذى الكنيسة ، كذلك فإن عروسه لها ذات الثديان . فكتاب الله هو كتاب الكنيسة ، يفرح الرب حين يجد كنيسته تقدم للعالم كلمته غذاء للنفوس .

« طاقةُ فاغيةٍ. حبيبى لى فى كروم عين جدى » (نش ١ : ١٤)

طاقة فاغية أى عنقود حنّاء ... والمعنى أن حبيبى لى كعنقود حناء فى كروم عين جدى ، (وعين جدى هى واحة على الشاطىء الغربى للبحر الميت وتبعد ٣٥ ميلاً عن أورشليم) . واستخدام الحناء للعرائس تقليد قديم ومازال شائعاً بين العوام ... كانت العروس تضع الحناء فى يديها طيلة الليلة السابقة لزفافها (ليلة الحنّا) ، فتصير يدها حمراء .

إن كان العريس وهو الملك يمسك بصليبه كصولجان ملكه ، فإن العروس تمسك بعريسها فى يدها وتطبق عليه فترتسم علامة ملكه عليها ... إنها تحمل اللون الأحمر ، لون الدم ... إنها لن تكون له إلا إذا حملت علامات الصليب وتصير حمراء كعريسها ... إن هذا هو سر قوتها بل هو سر جمالها فى نظر عريسها .

إن كان حبيبها لها كصرة المرّ وبين ثدييها يبيت ، فهو أيضاً حبيبها الذى لها كعنقود الحنّاء ... وما أجمل هذا الزهر فإن رائحته الذكية تنتشر فيعطر الهواء برائحته . وكم هو جميل أن تُرى العروس حاملة على يديها « طاقة فاغية » ... إن هذا رمزاً للشهادة للرب ، تعلن اسمه للجميع لا بالكلام فقط بل بإظهار صفاته فى حياتها .

يقول البعض إن « صرّة المر » تشير إلى آلام المسيح وموته ، و « طاقة فاغية » تشير إلى المسيح القائم من بين الأموات .

« ها أنت جميلة يا حبيبتى ، ها أنت جميلة . عيناك حمامتان » (نش ١ : ١٥)

يرى السيد المسيح فى كنيسته جمالاً سرّه يكمن فى العينين الحمامتين بعد أن حلّ عليها الروح القدس الذى يظهر على شكل حمامة ، ووهبها استنارة داخلية ... ولماذا العينان حمامتان ؟ لأنهما ينظران و يدركان بطريقة روحية ... إن العينين هنا يشيران إلى عينى القلب وليس إلى العينين الجسديتين ... وتشير العينان الحمامتان إلى النفس البسيطة التى سرعان ما تعترف بخطيتها ، وتأتى إلى الرب فى توبة صادقة كقول حزقيال النبى « يكونون كالحمام يهدرون كل واحد على اثمه » (حز ٧ : ١٦) ... والعينان البسيطتان تشيران إلى بساطة القلب فى التعامل مع الآخرين كما يقول الرب « كونوا بسطاء كالحمام » ... يقول أغسطينوس « لاحظ كيف يحفظ الحمام حياة الحب ، فإنه حتى إن تنازع ، ففى بساطة لا يفترقون عن بعضهم البعض » .

يقول القديس أمبروسيوس إن السيد المسيح يرى كنيسته دائماً كحمامة ، إذ يراها فى المعمودية تلبس الثوب الأ بيض الذى بلا دنس ، تحطم كل ظلمة فى المياه ، وتصير عيناها حمامتين لأن الروح القدس ينزل من السماء على شكل حمامة .

وإذ تصير عينا المؤمن فى المعمودية كحمامتين ، إنما تصير حياته كلها كحمامة ، لأنه « إن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً . وإن

كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً » (مت ٦ : ٢٢ ، ٢٣) ... هكذا يستنير الجسد كله .

ثم هناك أمر هام فى هذه الآية : أليس عجيباً أن يتغنى العريس بجمال عروسه التى شهدت عن نفسها بأنها سوداء ؟! و يقول لها « ها أنت جميلة يا حبيبتى ، ها أنت جميلة » . فمن أين أتاها هذا الجمال ؟ هل ورثته عن أبو يها « هأنذا بالإثم حبل بى و بالخطية ولدتنى أمى » ... أهو جمال طبيعى « كل الرأس مريض وكل القلب سقيم . من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة بل جُرح وإحباط وضربة طرية لم تُعصر ولم تُعصب ولم تلين بالزيت » (إش ١ : ٥ ، ٦) ... « فإنى أعلم أنه ليس ساكن فىّ أى فى جسدى شيء صالح » (رو٧ : ١٨) ... إذن كيف يراها العريس جميلة ؟

إنه يراها جميلة فى شخصه ، فلقد مات لأجلها وحمل خطاياها فى جسده على الخشبة ودمه طهرها « أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب » (أف ٥ : ٢٥ - ٢٧) . والمسيح له المجد لأنه أحبنا وقد صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا لا يمكن أن يرى فينا شيئاً من صورتنا القديمة « الأشياء العتيقة قد مضت ، هوذا الكل قد صار جديداً » (٢كو٥ : ١٧) .

ثم إنه لا يقول لها ستكونين جميلة فى المجد، ولكن ها أنت جميلة من الآن. صحيح إننا كنا أمواتاً بالذنوب والخطايا التى سلكنا فيها قبلاً؛ ولكن الله الغنى فى الرحمة أحيانا مع المسيح وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع (أف ٢: ٥، ٦)... «لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله» (كو٣: ٣)... هذه هى الحالة التى صرنا فيها الآن أمام الله وبنعمته... واضح إذن أن العروس أصبحت جميلة فى عينى عريسها على أساس عمله المبارك.

«ها أنت جميل يا حبيبى وحلو وسريرنا أخضر» (نش ١: ١٦)

فى الآية السابقة سمعنا العريس الملك يقول «ها أنت جميلة يا حبيبتى، ها أنت جميلة» وهنا العروس لا تجد أفضل من كلمات عريسها تخاطبه بها فتقول له «ها أنت جميل يا حبيبى وحلو»... إن محبتنا مهما سمت وزادت عمقاً فهى صدى لمحبته هو «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً»... إن هذه نتيجة حتمية للشركة العميقة بين العروس وعريسها «فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع» (أع ٤: ١٣).

إن كلمات العروس لم تستمدها من أى مصدر بل مصدرها الشركة الشخصية العميقة مع العريس. فالنفس التى تعرفت على الرب تهتف قائلة «ها أنت جميل يا حبيبى وحلو»... «أنت أبرع جمالاً من بنى

البشر» ... وفرق بين معرفة السماع ومعرفة الاختبار. ولكن النفس التى لم تتعرف عليه لا تجد فيه جمالاً ولا حلاوة ... لقد كانت خيمة الاجتماع رمزاً لربنا يسوع المسيح ـ الكلمة الذى صار جسداً وحلّ بيننا ... فكل من دخل الخيمة ورأى محتوياتها من الداخل لا يسعه إلا أن يهتف «مساكنك محبوبة يارب إله القوات» ... «واحدة سألت الرب وإياها ألتمس أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى لكى أعاين جمال الرب وأتفرس فى هيكله المقدس» (مز ٢٧) ـ أما من مرّ على الخيمة من الخارج فلا يرى فيها سوى جلود الكباش المحمرة وشعر المعزى وجلود التخس التى لا جمال لها أمثال هؤلاء يروا الرب «لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه» (إش ٥٣) ... هذا كان لسان حال اليهود «أليس هذا هو ابن النجار» إنه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين ... إلخ .

«وسريرنا أخضر»

ما هذا السرير الذى ينسب للعريس والعروس (سريرنا)، إلا الجسد الذى تستريح فيه النفس ويسكن الرب فيه وصار هيكلاً مقدساً له .. فيه يلتقى الرب بالنفس البشرية وتنعم بالشركة معه، لذا دعى «أخضر» أى مثمر يانع .

ولم تقل «سريرى» بل «سريرنا»، فإن جسدها لم يعد ملكاً لها بل ملك العريس ـ لذا دعا الرسول أجسادنا أعضاء المسيح (١كو٦ : ١٥). إن أجسادنا تحمل انعكاساً للوحدة الداخلية بين الكلمة الإلهى

والنفس .

والسرير الأخضر يرمز إلى « سر التجسد » ، فالكلمة أخذ جسداً وكل ما لنا ... أخذ بشريتنا وحملنا فيها . هكذا نتطلع إلى جسده كسرير لنا نستريح فيه ، ونرى اتحادنا معه فيه !!

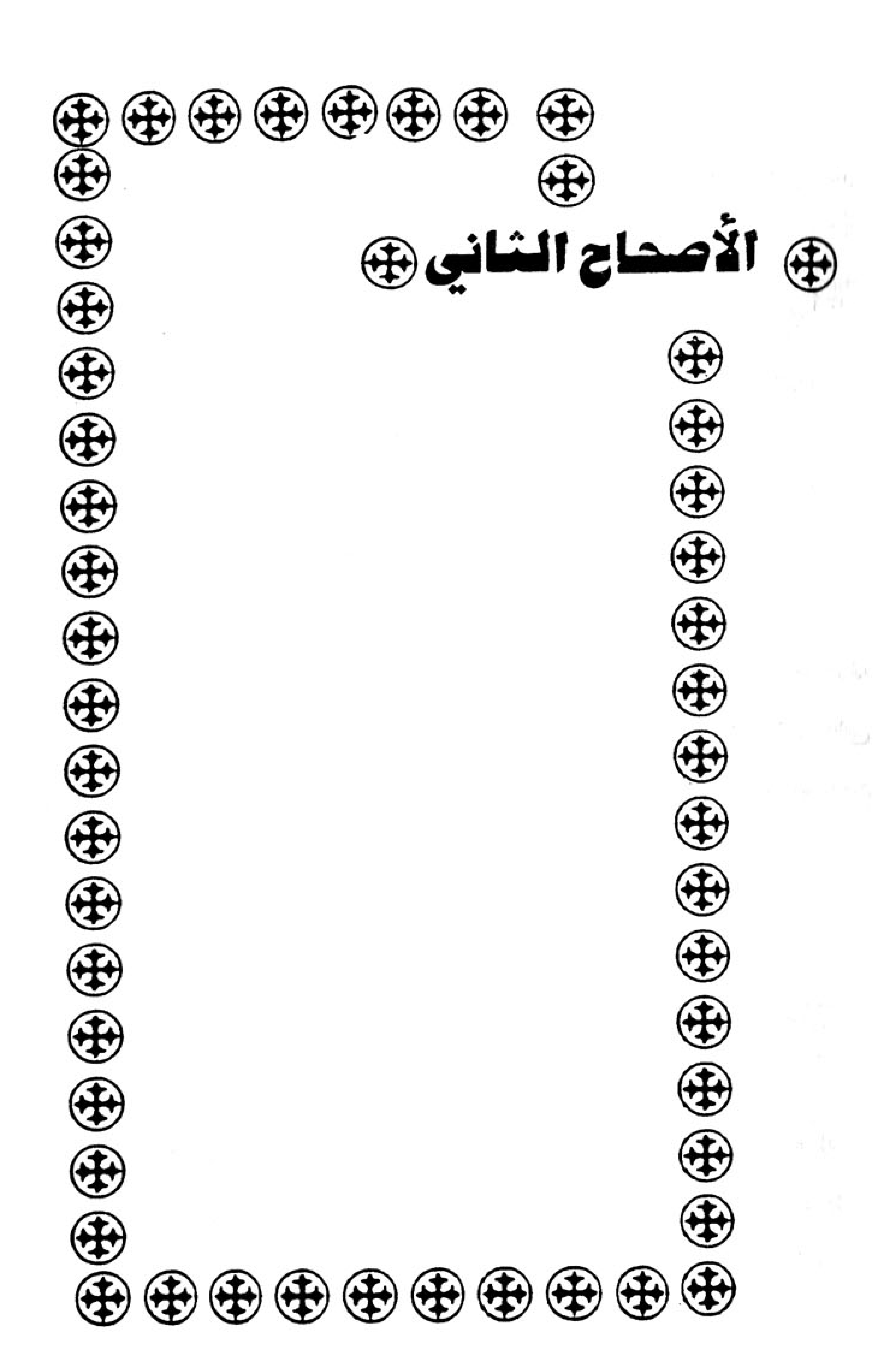
«جوائز بيتنا أرز وروافدنا سروٌ» (نش ١ : ١٧)

جوائز أى عوارض ، والروافد هى الأسقف المائلة .

يرى العلامة أوريجينوس أن الروافد أى الأسقف المائلة التى فوق المنزل والتى تحميه من حرارة الشمس والعواصف والأمطار إنما هم الأساقفة الذين يعملون بروح المسيح للحفاظ على المؤمنين- أما الجوائز أى العوارض التى خلالها يتماسك البيت كله فهم الكهنة الذين يخدمون لبنيان أولاد الله .

بماذا يمتاز شجر السرو ؟

تمتاز شجرة السرو بقوتها العظيمة ورائحتها الجميلة (الأسقف يجب أن تتوفر فيه ناحيتان التقوى والسلوك الروحى والقدرة على التعليم ونشر رائحة المسيح الذكية -أى يخدم بحياته وتعليمه)- كما يمتاز بالعلو الشاهق إشارة إلى قلب الأسقف وعقله المرتفع إلى السمويات . وخشب الأرز المشبه به الكهنة -يمتاز باستقامته ورائحته الطيبة .



الأصحاح الثاني

صفحة بيضاء

في الاصحاح الأول رأينا العروس تجرى وراء العريس «اجذبنى وراءك فنجرى» (١ : ٤)، وتتبعه «إن لم تعرفى ... فاخرجى على آثار الغنم» (١ : ٨)، وجالسة فى محضره (١ : ١٢- ١٤)...

فى الاصحاح السابق رأينا المسيح كعريس تمدح حبه، ورأيناه كالراعى الصالح، ثم كملك... والآن فى هذا الاصحاح تجلس معه تناجيه بعيدة عن أى كلفة...

«أنا نرجس شارون، سوسنة الأودية» (٢ : ١)

النرجس زهر أبيض له رائحة ذكية، ينبت بين الصخور وشقوق الجبال الشامخة، والسوسنة هى الزنبقة، وشارون سهل فى اليهودية، وهى منطقة خصبة جداً متوفرة المياه، لكنها لا تزرع لضيقها، فكان يستخدم هذا السهل كطريق بين مصر وسوريا

والنرجس بالصورة السابقة يظهر دون أن يزرعه أحد.

بعض الناس يظنون أن المتكلم هنا هى العروس، لكننا نرجح أنه العريس الملك.

إنه يليق بالرب أن يشبه بالنرجس فهو يظهر دون أن يزرعه أو يفلحه أحد، هكذا المسيح ظهر فى أرضنا دون أن يشترك أحد فى تجسده «من

الروح القدس ومن العذراء مريم».

لذلك فإن المن الذى كان ينزله الله من السماء فى العهد القديم (خر١٦ : ٤). كان رمزاً للمسيح لأنه **لم يشترك أحد فى إعداده** «أنا هو الخبز الذى نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد» (يو٦ : ٥١).

وهو سوسنة الأودية ... السوسنة تصعد مستقيمة إلى أعلا، وزهرتها فى القمة بعيدة عن الأرض. وهذا يليق بالرب الذى جاء إلى أوديتنا القاحلة، حتى يرتفع بنا إلى فوق و يكون هو الزهرة السماوية.

والسيد المسيح هو زهرة الشعب اليهودى وهو سوسنة الشعوب الأممية، إنه مسيح العالم كله : اليهود والأمم ... و يرى القديس جيروم أن سوسنة البرية أو الأودية هى رمز للمسيح الذى نبت فى عصا هارون، الزهرة التى نبتت فى القديسة مريم، التى وإن كانت فى ذاتها لا تحمل حياة لكنها حملت الحياة ذاته.

و يقول أمبروسيوس «مريم هى العصا والمسيح هو الزهرة- زهرة مريم التى تنتشر بها رائحة الإيمان الذكية فى العالم كله، إذ ظهر كبرعم فى الحشاء البتولى».

والزهرة تحتفظ برائحتها حتى إذا سحقت، بل إن عبيرها يزداد، هكذا أيضاً المسيح بآلام الصليب زادت رائحة بره وإذ طعن بالحربة وسال منه الدم صار أكثر جمالاً.

« كالسوسنة بين الشوك ، كذلك حبيبتى بين البنات » (٢ : ٢)

إذ صار المسيح كسوسنة الأودية ، كان ينبغى أن تصبح عروسه سوسنة مثله لكن بين الشوك « مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين أخوة كثيرين » ... وإذا كنا قلنا إن السوسنة تصعد مستقيمة إلى أعلا ، فالنفس التى تتبعه يجب أن ترتفع إلى فوق حيث المسيا ... إنها سوسنة بين الشوك ، أى العالم وكل همومه ، لكنه يصعد بها فوق هموم الحياة كلها . لقد شبه المسيح المؤمن بالسوسنة أى الزنبقة الذى ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها ...

إن المسيح حينما يقول للنفس « كالسوسنة بين الشوك » ، إنما هو لفت نظرها لحقيقة ذاتها وسط العالم ، وهو تحذير لها من الأشواك ... « فى العالم سيكون لكم ضيق » . والسوسنة بين الشوك صورة للكنيسة وسط العالم والهرطقات ... والسوسنة وسط الشوك تجسيد لمثل الزوان والحنطة !!

« كالتفاح بين شجر الوعر ، كذلك حبيبى بين البنين . تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقى » (٢ : ٣)

هنا تتكلم العروس ... إن كانت العروس تعيش وسط الشوك « كالسوسنة بين الشوك » ولا تستطيع أن تصل إليه ، فهو يتنازل و يأتى إليها ، و يصير كشجرة التفاح وهى رمز للتجسد الإلهى ... لقد حلّ بيننا

نحن شجر الوعر الذى بلا ثمر وصار كواحد منا، لكن ليس بلا ثمر مثلنا، بل كشجرة التفاح الجميلة المنظر... «حبيبى»: ليس لها سوى حبيب واحد «من لى فى السماء ومعك لا أريد شيئاً فى الأرض».

إن الشوك الذى نعيش فيه هو ثمر الخطية «شوكاً وحسكاً تنبت لك».

«تحت ظله اشتهيت أن أجلس» ...

كان الشعب قديماً يجلس فى ظلال الموت «الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور» (إش ٩ : ٢ - أنظر متى ٤ : ١٦) ... وتمنى داود أن يبيت فى «ظل القدير» (مز ٩١ : ١).

ما أكبر الفرق بين شهوة المؤمنين الأتقياء وشهوات غير المؤمنين. يقول الحكيم «شهوة الأبرار خير فقط ... أما نفس الشرير فتشتهى الشر» (أم ١١ : ٣٢؛ ٢١ : ١٠). طوبى للنفس التى تشتهى أن تتمتع بالرب وبالوجود قربه وتحت ظله «إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس. بنفسى اشتهيتك» (إش ٢٦ : ٨، ٩).

وهنا العروس تشتهى أن تجلس تحت ظله... وطلب داود «بظل جناحيك استرنى» (مز ١٧ : ٨) ... «ارحمنى يا الله ارحمنى لأنه عليك توكلت نفسى وبظل جناحيك أعتصم إلى أن يعبر الإثم» (مز ٥٧ : ١) ... «يا الله إلهى إليك أبكر... ذكرتك على فراشى وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك. لأنك صرت لى معيناً. وبظل جناحيك أبتهج» (مز ٦٣).

الظل مريح و يتسابق إليه الناس، فكم وكم إذا كان هذا الظل هو ظل الله ... !!

« وثمرته حلوة لحلقى »

ماذا تفعل النفس فى الظل ... إن الله يطعمها ... هذا اختبار الصلاة أو أوقات الصلاة، أو أوقات الجلوس أمام كلمة الله ... فترات المثول بين يدى الله المليئة بالتعزيات .

القديسة مريم تمثل أعضاء الكنيسة جلست تحت ظل العلى خلال التجسد الإلهى كقول الملاك لها « الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك. فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله » (لو ١ : ٣٥) . بهذا صار للمؤمن أن يجلس تحت ظل الرب و يأكل ثمرته الحلوة بعد أن تمرمر لسانه بسبب الخطية .

« أدْخَلَنى إلى بيت الخمر. وعَلَمُه فوقى محبة. أسْنِدونى بأقراص الزبيب. أنعشونى بالتفاح فإنى مريضة حباً» (٢ : ٤، ٥)

بيت الخمر أى بيت الوليمة والحكمة ... يقول أوريجينوس « أما الخمر الذى يستخرج من الكرمة الحقيقية السيد المسيح فهو جديد على الدوام، به يتجدد فهم المتعلمين للمعرفة الروحية والحكمة على الدوام. لهذا قال يسوع لتلاميذه. سأشرب هذا الخمر معكم جديداً فى ملكوت أبى (مت ٢٦ : ٢٩) ، لأن فهم الخفيات وإعلان الأسرار يتجدد على الدوام

خلال حكمة الله . وذلك ليس فقط بالنسبة للبشر بل وأيضاً بالنسبة للملائكة والقوات السمائية » ... فالرب يدخل بالنفس المؤمنة إلى بيت محبته ويكشف لها أسرار حكمته الجديدة كل يوم ، تتفهم المحبة كعلامة نصرة حبيبها وعريسها ، فتقيم **علم النصرة** فوقها ، قائلة « علمه فوقى محبة » . لقد ملك عليها تماماً بالحب .. إن هذا العلم المرفوع يلفت كل الأنظار إلى المحبة - إنها مرتبطة بالملك بواسطة المحبة .

هناك تقول العروس « أسندونى بأقراص الزبيب ، أنعشونى بالتفاح لأنى مريضة حباً (مجروحة حباً) » ... وذلك بعد أن دخلت بيت المحبة الإلهية ، وتسلمت من الله تدبير الحب ، إنها تعلن أنها مريضة بمرض اسمه الحب !! وهذا المرض دواءه الحب أو مزيداً من الحب ...

والمعنى أن النفس داخل الكنيسة التى هى بيت المحبة تطلب من خدام المسيح أن يسندوها بأقراص الزبيب والتفاح التى هى التعاليم الإلهية المعزية التى تسكب وتضرم حب المسيح فى الداخل ... إنها تطلب التفاح الذى هو رمز للتجسد الإلهى أى تطلب الجسد المقدس فهو سرّ انتعاشها الروحى ... إنه وحده يقدر أن يشبع القلب حباً .

« شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى » (٢ : ٦)

قالت العروس « إنى مريضة حباً » ... إن مرض الحب قد يحدث إعياءً بسبب فرط السعادة . هذا ما اختبره القديسون عندما بلغوا حد

الإحساس الكامل بحضور الرب معهم . إن أفراح حضور الرب تفوق طاقة احتمال الإنسان الترابى . والإناء الخزفى ليست به قدرة طبيعية لاحتواء الرب ومجده ، ومن ثم نحتاج إلى قوة من الرب لكى نستأهل للتمتع بحضوره المجيد ... هذا ما حدا بالعروس أنها من فرط سرورها شرعت تنادى من حولها ليساعدوها و يسندوها ... فاستجاب حبيبها نفسه لندائها واضعاً ذراعه الحنونة حولها رافعاً رأسها بيده ... إنها فى حضنه تماماً .

عندما كان يوحنا الحبيب أسيراً منفياً فى جزيرة بطمس ، ورأى الرب فى جلاله سقط عند رجليه كميت فوضع يده اليمنى عليه (رؤ ١ : ١٧) ... تلك هى اليد التى رآها يوحنا نفسه مثقوبة ومسمرة فوق الصليب ، ورآها بعد ذلك مرفوعة بالبركة وقت صعوده إلى السماء . وإذ وضع يمينه عليه ملأ قلبه سلاماً و بدّد كل مخاوفه ... لقد اختبر يوحنا ـ وهو التلميذ الذى كان يسوع يحبه ـ اختبر قول العروس فى النشيد « شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى » ، حينما اتكأ وقت العشاء الأخير فى حضن يسوع وعلى صدره (يو ١٣ : ٢٣ ـ ٢٥) . ونشكر الله أن له حتى الآن مكاناً فى حضنه لكل واحد ممن يحبونه .

« أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء » (٢ : ٧)

تتكرر هذه العبارة فى سفر النشيد ثلاث مرات (٢ : ٧ ؛ ٣ : ٥ ؛ ٨ : ٣) .

إن العروس بعد أن وجدت حبيبها قريباً منها فى حضنها بدأت تحرص ألا تدع شيئاً يقطع أو يعكر صفو هذه الشركة الحلوة. وهنا نجد العروس تناشد المؤمنين الذين حولها - وكأنها تناشد نفسها - ألا يقلقوا حبيبها ... وكل من اختبر حلاوة الشركة مع المسيح وذاق مشاعر محبته لا يمكن إلا أن يرغب فى استمرار هذه الافتقادات الإلهية المجيدة كما اشتهى بطرس ذلك فوق جبل التجلى «جيد يارب أن نكون ههنا» (مت ١٧ : ٤). لكن الرب فى الوقت الذى يراه سيرفع هذه الافتقادات الإلهية والتعزيات (لا يمكن أن تستمر هذه التعزيات إلى ما لا نهاية) - حكمة الله فى ذلك...

وإذا كان هذا فيما يختص بالنفس البشرية فى علاقتها الودية مع الله إلا أنها تصور الكنيسة الأم التى تطلب من أبنائها «بنات أورشليم» أن يبقين فى الأحضان الإلهية، ولا يزعجن الرب المستريح فى قلوبهم بفعل الشر والخطية.

«صوت حبيبى. هوذا آتٍ طافراً على الجبال قافزاً على التلال. حبيبى هو شبيه بالظبى أو بغُفْر الأيائل (١). هوذا واقف وراء حائطنا يتطلع من الكوى يوصوص (٢) من الشبابيك» (٢ : ٨، ٩)

---

(١) الغزلان الصغيرة.

(٢) يظهر ذاته من خلف الشبابيك أو الستائر.

« **صوت حبيبى** » ... إن ما يميز خراف المسيح عمن ليسوا من خرافه هو أنها « تعرف صوته » (يو١٠ : ٤) ، ومن ثم تتبعه (يو ١٠ : ٢٧) ، وأما الغريب فلا تتبعه بل تهرب منه لأنها لا تعرف صوت الغرباء (يو١٠ : ٥) ... وبمجرد أن تسمع العروس صوت عريسها تمتلىء فرحاً وتهتف « صوت حبيبى » ... حقاً ما أغبط النفس التى تجلس عند قدميه لتسمع كلامه ...

عندما ظهر الرب القائم من بين الأموات لمريم المجدلية التى كانت واقفة عند القبر تبكى ، قال لها « يا مريم » عرفته وعرفت صوته وقالت له « ربونى » ... كذلك عندما أظهر ذاته لبعض تلاميذه عند بحر طبرية وتحدث إليهم قال يوحنا حبيب الرب « هو الرب » فما أحوجنا إلى شركة أعمق حتى تكون لنا « الحواس مدربة » على الإصغاء إلى صوت الحبيب ، فبقدر ما تزداد شركة خاصته معه ومحبتها له تستطيع أن تقول بحق « صوت حبيبى » .

« هوذا آتٍ »

ومع أن العريس لم يأت بعد ـ إنه مجرد صوته الذى سمعته العروس ـ إلا أن قلبها قد امتلأ شوقاً إليه ، وحنيناً إلى لقائه ، و يقيناً بأن مجيئه أصبح قريباً جداً ... إن هذا الحنين وهذا اليقين هما بعمل الروح القدس الساكن فينا ... « الروح والعروس يقولان تعال » وهو له المجد يجيب على القلوب المشتاقة إليه « أنا أصل وذرية داود كوكب الصبح المنير.. أنا آتى سريعاً » (رؤ٢٢ : ١٦ـ ٢٠) ، « لأنه بعد قليل جداً سيأتى الآتى ولا

يبطىء » (عب ١٠ : ٣٧) ... ولا يمكن أن يتباطأ الرب عن وعده . وإن كان قد مضى ما يقرب من ألفى عام من وقت أن وعد الرب « أنا آتى سريعاً » ولكن لا يفوتنا أن « يوماً واحداً عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد » .

إن المتحدث هنا هى كنيسة الأمم ـ تكلم الشعب اليهودى فى عتاب لطيف وتقول لهم لقد تعرفت على « كلمة الله » [= صوت حبيبى] الذى جاء متجسداً خلال اليهود ، تعرفت عليه خلال جبال الشريعة التى تسلمتموها وتلال النبوات التى بين أيديكم ... لقد جاءنى طافراً بفرح وسرور خلال الشريعة والنبوات . لكن فى ملء الزمان جاءنى بنفسه كالظبى حاملاً طبيعتنا ، مختفياً وراءها [= واقفاً وراء حائطنا] ، يتحدث معنا مباشرة ... لقد تقبلت رسالة تجسده خلال كوى الشريعة وشبابيك الأنبياء ...

يقول القديس غريغوريوس أسقف نيصص « لقد بلغ بهاء (الكلمة) إلى الكنيسة أولاً عن طريق الأنبياء . أخيراً بإعلان الإنجيل زالت ظلال الرموز بتمامها ، وانهدم الحائط الحاجز ، واتصل جو البيت الداخلى بنور أعالى السموات . لم تعد هناك حاجة لنور الشبابيك مادام النور الحقيقى قد أضاء كل الداخل بأشعة الإنجيل » .

إن النفس التى تريد أن تلتقى مع « كلمة الله » الطافر على الجبال القافز على التلال فى كمال الحرية يلزمها أن تلتقى به على جبال أسفار العهد الجديد وفوق تلال أسفار العهد القديم .

فى سفر أرميا نرى الرب يرسل قانصين وصيادين ليقتنصوا البشر على كل جبل وفوق كل تل (أر١٦: ١٦). إنها نبوة على العمل الكرازى الذى للكنيسة، حيث تصطاد الكنيسة النفوس خلال الكتاب المقدس لتتمتع ببركات الخلاص.

على هذه الجبال المقدسة تلتقى النفوس بكلمة الله، فتراه الخاطب الذى يطلب يدها. هناك تسمع صوت دعوته لها فتختبر حبه وتتكشف أسراره الإلهية وتعاين مجده.

وكأن النفس ترتفع مع موسى النبى على جبل حوريب فترى العليقة المتقدة ناراً دون أن تحترق (خر٣: ٢)، فتدرك سرّ التجسد الإلهى، إذ ترى العذراء مريم وقد حملت جمر اللاهوت دون أن تحترق... هى تصعد مع موسى على الجبل لتتسلم الشريعة: ليست منقوشة على لوحين من حجر، بل إن الكلمة ذاته يسكن فى قلبها... إنها تجلس مع الجموع لترى الرب يسوع يفتح فاه ويعلم الناس مباشرة دون حواجز. إنها ترتفع معه على جبل تابور فى التجلى وتدرك مجده وتسمعه يتحدث مع موسى وإيليا عن الأمور المختصة بخلاص البشر... أو كأنها ترتقى معه جبل التجربة لتراه يجرب ويغلب من أجلها !!

«هوذا واقف وراء حائطنا» ...

قد يكون ذلك الحائط رمز لضعفنا وتهاوننا وفتورنا. إنه حائطنا نحن وليس حائطه هو... إنه يمنع تمتعنا بالرب كما ينبغى، ومع ذلك فهو

واقف وراء حائطنا ... إن عين الإيمان تستطيع أن تراه والأذن الروحية تستطيع أن تسمعه « هأنذا واقف على الباب أقرع » (رؤ٣ : ٢٠) .

● وقد تكون هذه العبارة « واقف وراء حائطنا ... » وصفاً لحالة مؤمنى العهد القديم ـ عهد الناموس والظلال ـ فلم يكن لهم امتياز النظر إلى مجد الرب بوجه مكشوف ... لقد كانوا يرونه من خلال كوى الرموز والطقوس والفرائض ـ ولقد كان الحجاب الذى يفصل بين قدس الأقداس والقدس بمثابة الحائط الذى من ورائه ينظر الرب إلى قديسيه فى ذلك العهد ... لكنهم لم يكن لهم نور الانجيل ولا معرفة الخلاص الكامل ـ ذلكَ الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء . الذين تنبأوا عن النعمة التى لأجلنا ... الذين أعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التى أخبرنا بها نحن الآن بواسطة الذين بشرونا فى الروح القدس المرسل من السماء التى تشتهى الملائكة أن تطلع عليها (١بط ١ : ١٠ ـ ١٢) ...

والمسيح أوضح الفارق الكبير بين ما رآه وسمعه أبرار العهد القديم وما رأته وسمعته خاصته « طوبى للعيون التى تنظر ما تنظرونه . لأنى أقول لكم إن أنبياء كثيرين وملوكاً أرادوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا » (لو١٠ : ٢٣ ، ٢٤) .

● ويرى البعض أن « حائطنا » هنا إشارة إلى حالتنا الحاضرة ، أعنى وجودنا فى هذه الأجساد الضعيفة بالمقابلة مع ما ستكون عليه عند مجىء الرب إلينا فى مجيئه الثانى ، وتغيير أجسادنا لنكون على صورة جسد

مجده « فإننا ننظر **الآن** فى مرآة فى لغز » - إننا نراه الآن بالإيمان فقط ، كما من كوى وشبابيك ، ولكن بعد قليل « سنراه كما هو » سنراه « حينئذ وجهاً لوجه . الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت » (١كو١٣ : ١٢) ... على أنه من امتيازنا أننا وإن كنا لا نراه الآن (بالجسد) ولكننا نحبه . ذلك وإن كنا لا نراه **الآن** لكن نؤمن به فنبتهج بفرح لا ينطق به ومجيد (١بط ١ : ٨).

• كذلك فإن أسفار العهد القديم المقدسة تعتبر بمثابة الكوى والشبابيك بما تتضمنه من مواعيد ورموز وذبائح وتقدمات ونبوات ، منها يمكن رؤية المسيح ، وبواسطتها يعلن هو ذاته لكل قلب متيقظ . وإنه من تلك الكوى أمكن لعيون مؤمنة تقية أن تراه كرئيس الكهنة بثياب المجد والجلال المسربل بهما أو تراه كحمل الله المرفوع على صليب الجلجثة ، أو كالملك الممسوح فى أمجاد ملكه العتيد .

« أجاب حبيبى وقال لى قومى يا حبيبتى يا جميلتى وتعالى . لأن الشتاء قد مضى والمطر مَرّ وزال . الزهور ظهرت فى الأرض . بلغ أوان القضب (٣) وصوت اليمامة سمع فى أرضنا . التينة أخرجت فِجّها (٤) ، وقعال الكروم (٥) تُفيح رائحتها . قومى يا حبيبتى يا

---

(٣) تقليم الكرم .

(٤) البراعم الصغيرة .

(٥) العنب الذى لم يتضج .

جميلتى وتعالى» (٢: ١٠- ١٣)

أجاب ... نلاحظ أن العروس لم تكلم العريس ... لكن هذه الإجابة، إجابة على مشاعرها فهو العالم بكل شىء على نحو ما نقرأ عن يسوع مراراً كثيرة «فعلم يسوع أفكارهم» ... فى أحيان كثيرة تكفى مشاعرنا والرب يجيب.

قومى ... إنها دعوة للقيام والتبعية على نحو ما قال الرب يسوع للمفلوج «قم احمل سريرك وامشى».

يا حبيبتى - يا جميلتى ... إذا كانت حبيبته فهى جميلة !! إن الحب يرى كل شىء جميلاً. ما أعجبك أيتها المحبة، إنك ترين كل شىء حسناً (كل شىء طاهر للطاهرين) ومن ثمّ فهو جميل ...

تعالى ... إنها دعوة للسير فى طريق الكمال كما يقول غريغوريوس أسقف نيصص ... إن هذه الكلمة تحمل فى طياتها القوة ... تعالى ... إنها تعبّر عن الرغبة - رغبة النفس - هو سيصحبها الطريق كله - إنما تحتاج هى أن تخطو الخطوة الأولى. وهكذا بالنسبة للشهداء وما إحتملوه من عذاب يجلّ عن الوصف نجد أنهم بمجرد أن كانوا يعلنون عن رغبتهم فى التمسك بالسيد المسيح يحمل هو عنهم الآلام.

ولدينا فى قصة استشهاد فليسيتاس Felecitas - وهى أمة من قرطاجنة - مثالاً لذلك: فحينما شعرت بآلام المخاض وهى فى السجن استعداداً للاستشهاد قال لها أحد الحراس «إذا كنت لا تستطيعين احتمال هذا

الألم فكيف إذن ستحتملين أنياب الوحوش ومخالبها » فقالت فليسيتاس «**إنى أتألم الآن** . أما غداً فيتألم عنى آخر هو سيدى يسوع المسيح . اليوم القوة الطبيعية تقاوم الطبيعة وفى الغد تنتصر فىّ النعمة الإلهية على أشد ما أعددتم لى من التعاذيب » ... الله هو يسير معنا و يقودنا للسير من قوة إلى قوة ـ هو يكمّل نقائصنا ...

قومى ، وتعالى ... هذا ترتيب منطقى ـ لا يمكن أن تسبق الخطوة الثانية الخطوة الأ ولى .

لأن الشتاء قد مضى والمطر مرّ وزال ... لأن الأ ولى تعليلية ... فلا يمكن للنفس البشرية أن تتبع الحبيب وتسير فى طريق الكمال ما لم يكن الشتاء قد زال . والمقصود بالشتاء الاضطرابات الشخصية وعواصف الرذائل فلا تعود النفس تهتز بعواصف الشهوات (صلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت ـ متى ٢٤ : ٢٠) .

وعندما تهرب عن النفس أمثال هذه العواصف يمكن لزهور الفضائل أن تبدأ فى الظهور (**الزهور ظهرت فى الأ رض**) ـ**ويحين أوان القضب** (تقليم العنب) ـ قال الرب يسوع « كل غصن فىّ لا يأتى بثمر ينزعه . وكل ما يأتى بثمر ينقيه ليأتى بثمر أكثر» (يو١٥ : ٢) ... النفس فى كمالها تقبل كل ما يأتى عليها من تجارب وآلام ـ هذا هو قضب الكروم .

صوت اليمامة سمع فى أرضنا ... إن الحمامة رمز للروح القدس ـ ورمز لأمور كثيرة كالسلام (حمامة نوح) والوداعة ... فحين تبدأ النفس تزهر الفضيلة تستمع النفس جيداً ما يقوله الروح القدس .

صوت اليمامة سُمع ... كانت الحمامة موجودة لكن صوتها لم يكن يُسمع بسبب الانشغالات والانهماكات الأرضية والجسدية ... أما الآن وقد توقفت أصوات عواصف الشهوات ، حينئذ يستطيع الإنسان أن يسمع صوت الحمامة الذى هو صوت الروح .

« التينة أخرجت فجها ، وقعال الكروم تُفيح رائحتها » ...

الأشجار على اختلاف أنواعها تفهم بوجه عام كرمز لنفوس المؤمنين إذ كتب عنهم « كل غرس لم يغرسه أبى السموى يقلع » (مت ١٥ : ١٣) ... ويقول بولس « أنا غرست وأبلوس سقى » (١ كو ٣ : ٦) . والرب نفسه يقول « اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيداً » (مت ١٢ : ٣٣) .

+ التينة ترمز للإنسان الروحى يثمر أثمار الروح « محبة وفرح وسلام ... » (غل ٥ : ٢٢) . هذا الإنسان بدأ يحمل الفج أى البراعم الصغيرة ـ وبدأت قعال الكروم (العنب الصغير الذى لم ينضج) تفيح رائحتها .

فطالما الأمور هكذا فى بدايتها فيجب أن الإنسان يتشجع ويجاهد أكثر ويتبع الحبيب . لذا فهو يقول لها « قومى يا حبيبتى يا جميلتى وتعالى » ...

« يا حمامتى فى محاجىء(٦) الصخر فى ستر المعاقل(٧) أرينى وجهك. أسمعينى صوتك. لأن صوتك لطيف ووجهك جميل » (٢ : ١٤)

« الصخرة كانت المسيح » (١كو١٠ : ٤) .

«يا حمامتى ...» إنه يدعو حمامته- هكذا يدعو النفس البشرية ، وهذا مما يطمئن المؤمن أنه صار ملكاً للرب «أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدى . أبى الذى أعطانى إياها هو أعظم من الكل ، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى » (يو١٠ : ٢٨ ، ٢٩) .

أنت حمامتى ، فلقد «أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها ... لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شىء من مثل ذلك ، بل تكون مقدسة وبلا عيب » (أف ٥) .

إذا كان المسيح وديعاً « لا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف . وفتيلة مدخنة لا يطفىء » ، فحمامته وديعة (حمامة نوح) .. « كونوا بسطاء كالحمام » (مت ١٠ : ١٦) .

---

(٦) الشقوق .

(٧) المحصون .

«فى محاجىء الصخر، فى ستر المعاقل أرينى وجهك أسمعينى صوتك»

مع أن الحمامة ضعيفة فى ذاتها، وليس باستطاعتها أن تحمى نفسها أو صغارها من الطيور الكاسرة الجارحة، لكنها يمكنها أن تجد خلاصها ونجاتها فى محاجىء الصخر أى فى جراحات المسيح. هناك تستقر النفس هادئة آمنة فى ذلك الجنب المطعون ـ هناك تجد مكاناً أميناً إلى جوار ذلك القلب الكبير الذى فاض منه دم وماء غفراناً لكل العالم... فى ذلك المكان لا يمكن لأجناد الشر الروحية أن تدركها أو تلحقها... يتكلم سليمان فى الأمثال عن الوبار ويقول «الوبار طائفة ضعيفة ولكنها تصنع بيوتها فى الصخر» (أم ٣٠: ٢٦).

وليس فى محاجىء الصخر تجد أمانها بل هناك ما هو أدعى للأمان والاطمئنان «فى ستر المعاقل ـ فى ستر الحصون»... إنها تشير إلى مكان الشركة السرية مع الله.

«أرينى وجهك، أسمعينى صوتك»...

«أرينى وجهك» لقد صرنا ننظر مجد الرب بوجه مكشوف «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد» (٢كو٣: ١٨)... لا أثر للقناع القديم الذى كان يوضع على الوجه، بل صار لها أن تتأمل مجد الله بدون خوف «ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوء نعمة وحقاً» (يو١: ١٤).

«**أسمعينى صوتك**» وإذ تصير مستحقة أن يقال عنها ما قيل عن موسى «موسى يتكلم والله يجيب» (خر١٩: ١٩)، يتحقق فيها قوله «اسمعينى صوتك».

«**لأن صوتك لطيف ووجهك جميل**»... وهذا تعبير عن محبة العريس لعروسه...

«خذوا لنا الثعالب الثعالب الصغار المفسدة الكروم، لأن كرومنا قد أقعلت (٨)»

نلاحظ هنا أن العريس يربط نفسه بعروسه فى أمر العناية بالكروم فيقول «خذوا لنا »، لأن «**كرومنا**». كأن فرح العريس مرتبط بفرح العروس، وأن ما يؤلمها أو يؤذيها يؤلمه و يؤذيه... قال الرب يسوع لشاول «أنا يسوع الذى أنت تضطهده» (أع ٩: ٥). لذا نراه مهتماً بسلامتها وصيانتها من كل أذى وضرر... إنه لا يريد لأى شىء أن يعطل الشركة المقدسة.

ما هى الثعالب الصغيرة ؟

(١) قد تكون إشارة للخطايا التى تبدو صغيرة ولا نحترس منها... يقول القديس مرقس الناسك «يقدم لنا الشيطان خطايا صغيرة تبدو كأنها تافهة فى أعيننا. لأنه بغير هذا لا يقدر أن يقودنا إلى الخطايا

---

(٨) أزهرت.

العظيمة » ... لنتذكر كلمات الرسول « امتنعوا عن كل شبه شر » (١تس ٥ : ٢٢) ...

و يرى أوريجينوس أن الثعالب الصغيرة هى قوى الشياطين المضادة والشريرة التى تحطم زهور الفضائل فى النفس وتبدد ثمر الإيمان خلال الأفكار الفاسدة والمفاهيم المضللة التى تبثها .

نحن محتاجون للإحتراس حتى إن كنا كاملين فى جهادنا . فالإحتراس فضيلة مسيحية هامة . لقد رأت الشهيدة بربيتوا فى حلم سلماً كبيراً ذهبياً يصل الأرض بالسماء . كان ضيقاً بحيث لا يتسع إلا لشخص واحد . وعلى جانبيه آلات التعذيب . ومن أسفل تنين مرعب ، عند الدرجات الأولى لهذا السلم ، متحفز لاقتناص من يحاول الصعود للسماء . وفى الحلم رفعت بربيتوا رأسها ، فرأت معلمها ساتوروس Saturus وهو يصعد . وحينما وصل إلى نهاية السلم من أعلى قال لها « بربيتوا .. إنى فى انتظارك . **ولكن احذرى لئلا يلتهمك التنين** » حينئذ قالت بربيتوا « باسم يسوع المسيح سأصعد ، **ولن أخاف التنين** » . وبجرأة وضعت رجلها على التنين وكأنه الدرجة الأولى من درجات السلم ، ثم ابتدأت تصعد مسرعة .

(٢) وعلى حسب رأى أوريجينوس أيضاً قد تكون الثعالب الصغيرة هى التعاليم الفاسدة والهرطقات . وهى إشارة إلى مقاومة المعلمين المنحرفين . ويجب مقاومة التعاليم الفاسدة وهى بعد صغيرة ومبتدئة .

لقد علمنا الكتاب المقدس أن نحذر الثعالب الصغيرة لكن لا نخافها، فقد أعطانا الله سلطاناً أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو (لو١٠: ١٩)... إننا نقول بنعمة المسيح «يا بنت بابل الشقية طوبى لمن يمسك أطفالك و يدفنهم عند الصخرة» والصخرة هى المسيح.

«حبيبى لى وأنا له الراعى بين السوسن. إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال أرجع وأشبه يا حبيبى الظبى أوغفر الأيائل على الجبال المشعبة» (٢: ١٦، ١٧).

بالتجسد الإلهى نزل ابن الله الكلمة إلى النفس البشرية ليخطبها لذاته... و بقيامته المقدسة دعاها للقيام معه وبه وبلا خوف من سلطان الخطية، لكنه طلب إليها أن تحذر الثعالب الصغيرة المفسدة للكروم... استجابت العروس لدعوة العريس «قومى... وتعالى»، وهكذا دخلت وليمة عرس الصليب والقيامة لتنعم بالاتحاد معه، فأخذت تناجيه قائلة:

« حبيبى لى ، وأنا له »

فى الكنيسة القبطية يسمى سر الزواج «عقد إملاك وزواج»... أما السبب، فلأن فى هذا السر يقدم كل منهما نفسه ليصير ملكاً للآخر كقول الرسول «ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل، وكذلك الرجل أيضاً ليس له تسلط على جسده بل للمرأة» (١كو٧: ٤). ومن هنا فلا يطلب أحدهما ما لنفسه بل ما هو للآخر، متخلياً عن الكثير من

رغباته من أجل الطرف الآخر. وفى نفس الوقت يقدم كل منهما ما يملك للطرف الآخر.

هذا السرّ تراه النفس البشرية أو الكنيسة فى أكمل صورة على الصليب حيث قدم الرب دمه مهراً لها ليدخل كل منهما فى ملكية الآخر... وهكذا تقول العروس «**حبيبى لى وأنا له**»...

رأته على الصليب معلقاً فأدركت بحق مفهوم العرس السماوى، فقد اشتراها بحبه الكامل، وقدم حياته فدية لحياتها. لهذا فهى أيضاً تلتزم بتقديم حياتها له بفرح، حتى أنها فى الحياة الأبدية فى السماء تتغنى وتقول «لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة» (رؤ ٥ : ٩)...

هذه الحقيقة يعلنها الرسل فيقول بطرس «عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب... بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح» (١بط ١ : ١٨، ١٩). ويقول بولس «قد اشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس... إنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتريتم بثمن، فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله» (١كو٧ : ٢٣؛ ٦ : ١٩، ٢٠)... ويؤكد على هذه الحقيقة يوحنا فى الرؤيا على نحو ما أعلنت له «هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب، هؤلاء اشتروا من بين الناس باكورة لله وللخروف» (رؤ١٤ : ٤).

« حبيبى لى ، وأنا له »

اختبر القديس أغسطينوس هذه الحياة فيقول فى مناجاته لله :

« إلهى ... إننى إذ أتأمل ضميرى ، أراك ناظراً نحوى دائماً ، ومتنبهاً إلىّ نهاراً وليلاً بجهد عظيم ، حتى كأنه لا يوجد فى السماء ولا على الأرض خليقة غيرى . تسهر علىّ وكأنك قد نسيت الخليقة كلها ! تهبنى عطاياك ، كأنى وحدى موضوع حبك ! » .

ويقول أيضاً ... « أتوسل إليك أخبرنى أين أنت ؟! أين ألقاك فأختفى فيك بالكلية ولا أوجد إلا فيك ! إننى أشتهى الموت لكى أراك . إننى لا أريد العيش بعد لكى أحيا بك . امتلكنى بكليتى فألتصق بك تماماً !! » .

« الراعى بين السوسن »

فى أول هذا الاصحاح الثانى تكلم العريس عن نفسه « كسوسنة الأودية » ... ولكنه صار هنا الراعى (السوسن) بين السوسن . وكأن كل الذين أحبوه صاروا سوسناً !! وكأن العروس تقول « أيها السوسنة المتألمة ، لقد أثمرت شجرة صليبك اتحاداً عجيباً فجعلت منا نحن أيضاً « سوسن » على مثالك ... إن النفس التى أحبتك صارت على مثالك ، وكنيستك حملت سماتك وشاركتك حتى فى اسمك » !!

ويرى القديس إيرونيموس أن السوسن يشير إلى البتولية ، وكأن الرب البتول قد صار راعياً للبتوليين الذين لم يدنسوا أنفسهم ولا ثيابهم .

لقد اتحد البتول بنا فصار كل ما فينا بتولاً . لقد صار لنا الفكر البتولى والقلب البتولى والحواس البتولة ... إلخ .

«إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال أرجع واشبه يا حبيبى الظبى أو غفر الأيائل على الجبال المشعّبة»

إذ دخلت النفس وليمة العرس الإلهى وتذوقت قيامة الرب فى حياتها أى اختبرت القيامة الأولى -قيامة النفس من موت الخطية- اشتهت القيامة الثانية أو قيامة الجسد فى مجىء الرب الأخير، فصارت تستعطف **العريس** قائلة «ارجع يا حبيبى» ... إنها وكأنها تقول له : فى مجيئك الأول كنت وراء حائطنا ولم أعرفك . لكن الآن عرفتك أنت كالظبى أو الأيّل الصغير فصارت لى خبرة معك . أقول نعم تعال أيها الرب يسوع فإنى أريد أن أعيش معك إلى الأبد ...

فى هذه المرة هى لا تريده من وراء الحائط بل علانية على السحاب فى النهار الجديد .

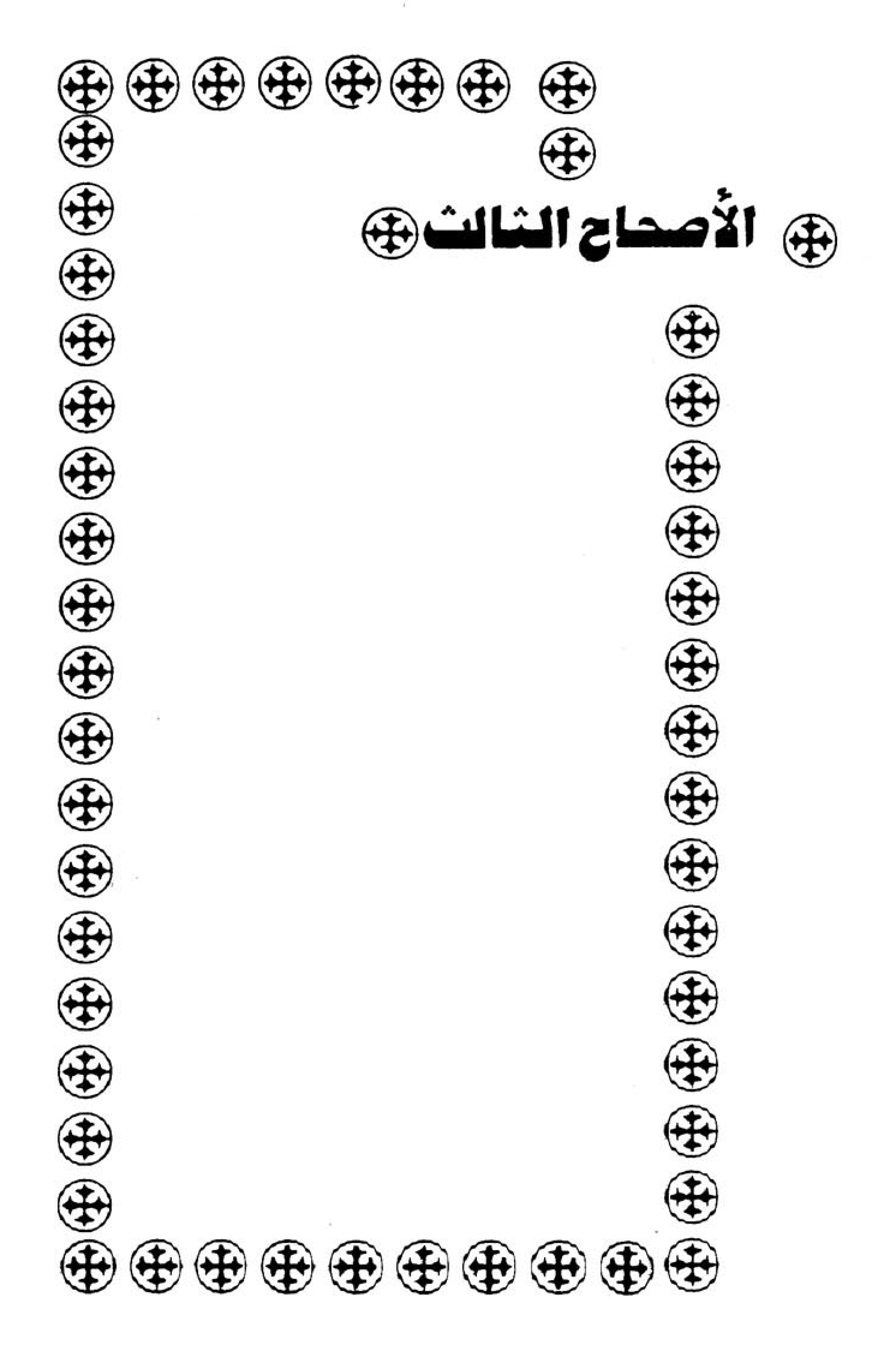
« إذ يفيح النهار وتنهزم الظلال »

بمجيئه الأول وتمتعها بشركة آلامه وتعرفها على قيامته تحوّل ليلها إلى نهار جديد . فالرب قد جعلنا «أبناء نور وأبناء نهار، ليس من ليل ولا ظلمة» (١تس ٥ : ٥) . والنفس تردد مع الرسول «قد تناهى الليل وتقارب النهار . فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور . لنسلك بلياقة كما فى النهار» (رو١٣ : ١٢ ، ١٣) .

وإذ ندخل إلى وليمة القيامة نسمع الله يردد «بسطت يدى طول النهار» (إش ٦٥ : ٢). أى أن الآب قد بسط يديه بالحب خلال صليب الابن يريد أن يضم حتى الشعب المعاند.

إننا بالقيامة الأولى ندخل إلى النهار الجديد، لكننا نرفع أعيننا إلى القيامة الأخيرة ومجىء الرب الأخير نرى كأن حياتنا فى ظلال تنتظر النهار الأبدى فنفرح معترفين بضعفنا «إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال»، نراه آتياً على الجبال المشعبة المملوءة ضيقاً، لكى يهزم ظلال الزمن ويدخل بنا إلى النهار الذى ليس فيه ليل الذى وصفه يوحنا فى الرؤيا «ولا يكون ليل هناك ولا يحتاجون إلى سراج أو نور الشمس، لأن الرب الإله ينير عليهم وهم سيملكون إلى أبد الآبدين» (رؤ٢٢ : ٥).





الأصحاح الثالث

«فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى، طلبته فما وجدته. إنى أقوم وأطوف فى المدينة فى الأسواق وفى الشوارع أطلب من تحبه نفسى. طلبته فما وجدته. وجدنى الحرس الطائف فى المدينة، فقلت أرأيتم من تحبه نفسى. فما جاوزتهم إلا قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسى، فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمى وحجرة من حبلت بى. أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقل ألا تُيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء» (٣: ١- ٥).

يمكن تفسير هذا الحديث من وجهتين: حديث الكنيسة لعريسها المسيح، وحديث النفس البشرية كعضو فى هذه الكنيسة...

بالنسبة للكنيسة :

منذ ارتفع المسيح على الصليب، طلبته الكنيسة ثلاث مرات ولم تجده إلا فى المرة الأخيرة.

(أ) فى المرة الأولى « فى الليل »

لعل ذلك إشارة إلى الظلمة التى غطت الأرض لحظات الصليب من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة (مت ٢٧: ٤٥- ٥٢)... تحول النهار إلى ليل. وكأن التلاميذ قد عمهم الظلام فكرياً فلم يستطيعوا أن يدركوا

أسرار الروح حتى أن اثنين منهم وهما تلميذا عمواس قالا فى شك « كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدى اسرائيل » .

(ب) فى المرة الثانية ليلاً أيضاً ..

لم تكن العروس على فراشها بل كانت تطوف المدينة فى الأسواق والشوارع ـ وهذا إشارة إلى تلاميذ الرب بعد دفنه ودخولهم العلية وتحول وقتهم كله إلى ليل. كانت الأبواب والنوافذ مغلقة. لقد حاولوا أن يسترجعوا قوتهم و يقوموا يبحثون عنه فى المدينة فى الأسواق والشوارع . لقد كان الوقت سبتاً ولم يذوقوا طعم الراحة .

(جـ) عند القبر الفارغ ـ خرجت مريم المجدلية فجر الأحد والظلام باق ، ولم تبال بالسير فى الشوارع والأسواق حتى وصلت القبر ـ وكأنها خرجت نيابة عن الكنيسة حزينة القلب وسألت الملاك بدموع عمن تحبه نفسها . وما جاوزته قليلاً حتى رأت الرب والتصقت به . لقد أمسكت به أولاً ، لكنها إذ أرادت أن تبقى هكذا سألها أن تسرع وتخبر التلاميذ أن يلتقوا به فى الجليل ... وكأن القديسة مريم قد دخلت به إلى الكنيسة بيت أمها وحجرة من حبلت بها .

أما حديث الكنيسة فهو « أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء و بأيائل الحقل ألا تيقظن الحبيب حتى يشاء » ، ... إنه حديث عتاب مملوء حباً موجه من الكنيسة المسيحية إلى جماعة اليهود ورؤساء كهنتهم الذين سخروا بالعريس على الصليب وقالوا « إن كنت ابن الله فانزل عن

الصليب... إن كان هو ملك اسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به» (مت ٢٧ : ٤٠ - ٤٢)... وكأن الكنيسة بعد أن دخلت إلى قيامته عادت تقول لبنات أورشليم لماذا كنتن تستعجلن العريس أن يقوم. أسألكن بحق الأنبياء (الظباء وأيائل الحقل) أن تتركن إياه ليقوم فى اليوم الثالث حيث شاء. إن كان قد رقد على الصليب فراجعن النبوات واذكرن أنه يقوم متى شاء!!

بالنسبة للنفس البشرية :

«فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى طلبته فما وجدته»

إن أمر ربنا الصريح هو «اطلبوا تجدوا... ومن يطلب يجد» (مت ٧ : ٧، ٨)، غير أن الأمر كان على النقيض مع العروس فإنها طلبت حبيبها فلم تجده، أما السبب، فلأنها طلبته وهى على فراشها، أعنى طلبته فى حالة تراخى وفتور ونوم روحى «تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون رديًا لكى تنفقوا فى لذاتكم» (يع ٤ : ٣)... لذلك يقول «استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضىء لك المسيح» (أف ٥ : ١٤).

إن النفس البشرية فى بحثها عن المسيح قد تطلبه بثلاثة طرق لكنها لا تجده إلا فى الطريق الأخير:-

(أ) تطلبه بمجهودها الذاتى.

(ب) تطلبه خلال الخدام وحدهم .

(جـ) أخيراً تطلبه بثقة فى قدرة عمل الله فيها دون تجاهل لجهادها أو لخدمة العاملين فى كرمه.

(أ) المرحلة الأولى طلبته على فراشها- إنه يمثل وقت ضعفها وتراخيها .

(ب) المرحلة الثانية خرجت النفس من ذاتها إذ تركت فراشها قائلة « أقوم » ودخلت المدينة تبحث عن عريسها . خرج أغسطينوس إلى الأسواق بالبحث عن الله يطلبه فى كتب الفلاسفة ، وإلى الشوارع بالبحث عنه فى الطبيعة ، لكنه لم يجد الله . إذ لغباوته خرج يطلب الله خارج نفسه ، مع أن الله كان فى داخله عميقاً أعمق من عمقه وعالياً أعلى من علوه .

(جـ) فى المرحلة الثالثة بحثت عنه خلال الحراس الذين هم خدام الكلمة وفى هذه المرة أيضاً لا تقدر أن تلتقى بعريسها إلا بعد أن تجاوزتهم قليلاً . فالخدام يسندون النفس لكنهم لا يقدرون أن يدخلوا بها إليه إلا بعمله هو. فهو وحده الذى يجتذب القلب نحوه... حقاً إن الكهنة ملتزمون بالحراسة لكن « إن لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحراس » (مز٢٧ : ١) ... « من هو بولس ومن هو أبولس ... أنا غرست وأبولس سقى لكن الله كان ينمى » (١كو٣ : ٥ ، ٦) .

«من هذه الطالعة من البرية كأعمدة من دخان معطرة بالمرّ واللبان وبكل أذرة [٩] التاجر» (نش ٣ : ٦)

من هذه الطالعة من البرية . من المتكلم ؟

+ إما العريس نفسه الذى يسندها و يشجعها ، مؤكداً لها أنه يراها طالعة ...

+ وإما السمائيين الذين تطلعوا إلى البشر الترابيين وقد انفتح أمامهم باب الفردوس ...

+ وإما بنات أورشليم اللائى كن قبلاً يعيّرن كنيسة الأمم بسوادها بسبب عدم انتسابها للآباء والأنبياء لأنها من الأمم ، لكنها تظهر الآن خلال اتحادها بالمسيا المخلّص جميلة و بهية تصعد من مجد إلى مجد .

إن هذه الطالعة من البرية رمز للنفس البشرية الطالعة من برية العالم ... والبرية ليست غريبة على شعب الله فقد تاه فيها قديماً مدة ٤٠ عاماً ـ تمتعوا فيها بمحبة الله وعنايته ، ولكنهم فى نفس الوقت تدر بوا . فقد تعرضوا للدغات الحيات القاتلة بسبب عصيانهم وتذمرهم ...

أما الآن فقد اتحد المؤمنون بالمسيح الذى يخرج بالنفس من برية العالم إلى حرية مجد أولاد الله ... يقول ذهبى الفم «نحن الذين كنا قبلاً

---

(٩) مساحيق Powders .

غير مستحقين للمجد الأرض ، نصعد الآن إلى ملكوت السموات ، وندخل السموات . ونأخذ مكاننا أمام العرش الإلهى » .

« كأعمدة من دخان »

حينما كان الله يحل بمجده.فوق جبل سيناء ، كان الجبل يدخن (خر١٩ : ١٨)... وحينما كان يحل بمجده فى خيمة الاجتماع أو الهيكل كان البيت يمتلىء من الدخان.. هذا ما رآه إشعياء . ففى الرؤيا التى أعلنت له ، ورأى فيها السيد جالساً على كرسى عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل يحيط به السيرافيم « اهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخاناً » (إش٦ : ٤)... وهذا عين ما رآه يوحنا فى السماء ، يقول « وامتلأ الهيكل دخاناً من مجد الله ومن قدرته » (رؤ١٥ : ٨) .

إذاً فإن الدخان دليل المجد والقوة ، وكان يشير إلى حلول الله وحضوره والعروس هنا فى شكل عمود من دخان ـ والعمود يعبّر عن الثبات والرسوخ « من يغلب فسأجعله عموداً فى هيكل إلهى ولا يعود يخرج إلى خارج » (رؤ٣ : ١٢)...

والدخان شىء يحدث و ينبعث نتيجة للنار ـ وهو يشير إلى قوة الروح القدس التى تمد العروس وتكسبها قوة جديدة... الدخان فى حد ذاته شىء يسهل تفريقه ، لكننا نجده هنا فى شكل عمود ، وهذا يشير إلى حالة من الثبات ، وقد أعطيت لها بواسطة امتلائها بقوة الروح القدس .

كما يشير الدخان إلى حياة الصلاة كقول يوحنا الرائى « فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله » (رؤ٨ : ٤) .

على أية الحالات لم تكن العروس كأعمدة من دخان من النوع الذى يخنق و يرمز لعلامة غضب الله أو الشر ، لكن العروس كانت كأعمدة من دخان معطرة بالمرّ واللبان .

المرّ : يرمز إلى أن هذه العروس قد دفنت مع المسيح الذى كُفن بالمر والطيب ... فهى لابد لها أن تدفن معه حتى تقدر أن تقوم معه « فدفنا معه بالمعمودية للموت ، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب ، هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة » (رو٦ : ٤) . نُدفن فى المعمودية فيموت إنساننا العتيق ، ونولد ميلاداً جديداً روحياً حتى نقدر بالروح القدس أن نرتفع إلى أبينا السماوى .

اللبان : رمز للصلاة ... وهو أيضاً رمز لشفاعة المسيح الكفارية التى قدمها كرئيس كهنة .

كل أذوة التاجر : (المساحيق) ، وهى أدوات الزينة التى تشتريها النفس من المسيح نفسه (التاجر) الذى وحده يقدر أن يزين النفس ويجمّلها كعروس له . إن التاجر هنا مكتوبة بصيغة المفرد وتشير للرب يسوع وتذكرنا بالتاجر الذى يطلب لآلىء حسنة (مت١٣ : ٤٥) . والمعنى أن العروس قد امتلكت غنى حياته المجدة ، وكأن الرب هو التاجر الذى أغناها .

«هوذا تختُ سليمان حوله ستون جباراً من جبابرة اسرائيل. كلهم قابضون سيوفاً ومتعلمون الحرب. كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل. الملك سليمان عمل لنفسه تختاً من خشب لبنان. عمل أعمدته فضةً، وروافده (١٠) ذهباً، ومقعده أرجواناً، ووسطه مرصوفاً محبة من بنات أورشليم» (نش ٣: ٧- ١٠).

تخت سليمان

تخت أى محفة تُحمل أو فراش (سرير)

- **تخت سليمان هو الكنيسة التى يحل الرب داخلها ويملك عليها إلى الأبد ...**

+ التخت مصنوع من خشب لبنان أى أرز لبنان... إن الخشب فى الكتاب المقدس يشير إلى الطبيعة البشرية. وخشب الأرز الذى يفوق كل أنواع الخشب يشير إلى طبيعة الرب البشرية. إنه مثل الأرز فارع عظيم جليل، يسمو فى بره فوق كل البشر.

+ أعمدته من فضة والفضة ترمز للفداء- لذا فهذه الأعمدة الفضية تشير بوضوح إلى فدائه. إنها تشير إلى المسيح الذى تجسد ليصنع الفداء بدم نفسه. ومن الناحية العملية تكشف عن عمل الصليب فى حياة المؤمن.

---

(١٠) قاعدته- أرضيته.

+ روافد التخت أى قاعدته أو أرضيته من ذهب. والذهب يرمز للطبيعة الإلهية. ومعنى هذا أن الأمر مؤسس على صفات إلهية وطبيعة إلهية. لقد صرنا شركاء الطبيعة الإلهية بالمعمودية التى بها ولدنا ولادة ثانية من الماء والروح.

+ ومقعده أرجواناً. والأرجوان رمز للملوكية. إن هذا يكشف عن الحقيقة أن الرب ملك. ولكنه ملك على خشبة (الصليب).

+ ووسطه مرصوفاً محبة من بنات أورشليم. وهذا يشير إلى محبة كل القديسين له.

+ كان التخت بأعمدته وأرضيته ومقعده ووسطه المرصوف بالمحبة هو مركبة سليمان الخاصة لكنه أيضاً وسيلة انتقال عروسه. ولم تكن المركبة ملكاً لها فقط، لكنها كانت التى يركب فيها الملك نفسه... هذه المركبة تكشف عن المجد الذى صارت فيه بنعمته.

+ هذا الموكب يظهر العريس وحوله ستون جباراً كلهم رجال حرب، حاملين سيوفهم على فخذهم، يجاهدون وسط أهوال ليل هذه الحياة... إنه الموكب الذى تعيشه الكنيسة المجاهدة حول المسيح عريسها... وكأن المسيح نائم وسط سفينة حياتنا (مت ٨ : ٢٤؛ مر ٤ : ٣٨). فلا خوف علينا مهما بلغت الاضطرابات شدة فى بحر هذا العالم.

والستون جبار حول التخت يشير إلى أنه حول الصليب تجتمع كل الكنيسة المجاهدة كرجال حرب حتى كما غلب ذاك يغلبون هم أيضاً به

ومعه ... كل مؤمن يحمل على فخذه سيفه الذى هو كلمة الله « وهم غلبوه بدم الخروف (أى الصليب) وبكلمة شهادتهم (كلمة الله) ولم يحبوا حياتهم حتى الموت » (رؤ١٢ : ١١) .

إن الستين جباراً من جبابرة اسرائيل يرمزون إلى أبناء الملكوت اسرائيل الجديد الروحى ، المختارون الذين قبلوا الصليب ودخلوا مع الله فى عهد جديد ... هؤلاء جاءوا إلى الوليمة فى حب متسلحين بسيف الروح لابسين خوذة الخلاص ودرع البر مجاهدين حتى الدم ضد الخطية لذا ينصحنا الرسول « أخيراً يا أخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته . البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد ابليس . فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات . من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل ... ممنطقين أحقاءكم بالحق ، ولابسين درع البر ، وحاذين أرجلكم باستعداد انجيل السلام . حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة . وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله » (أف٦ : ١٠ - ١٧) .

+ لكن لماذا عدد هؤلاء الجبابرة ٦٠ ؟

العدد ١٢ يشير إلى ملكوت الله على الأرض لأن الثالوث القدوس (٣) يملك على أركان المسكونة الأربعة (٤) - وبذا فإن ملكوت الله على الأرض يعنى ٣×٤ لذا فإن أسباط اسرائيل ١٢ ، وعدد التلاميذ ١٢ - وعدد أبواب أورشليم السمائية ١٢ - وطول المدينة مضاعفات العدد ١٢ .

وكل واحد من هؤلاء الجبابرة حمل خمسة سيوف ـ والعدد خمسة يشير إلى أنهم بشر (الحواس الخمسة) ـ أى سيف لكل حاسة فيكون العدد ١٢ × ٥ = ٦٠ .

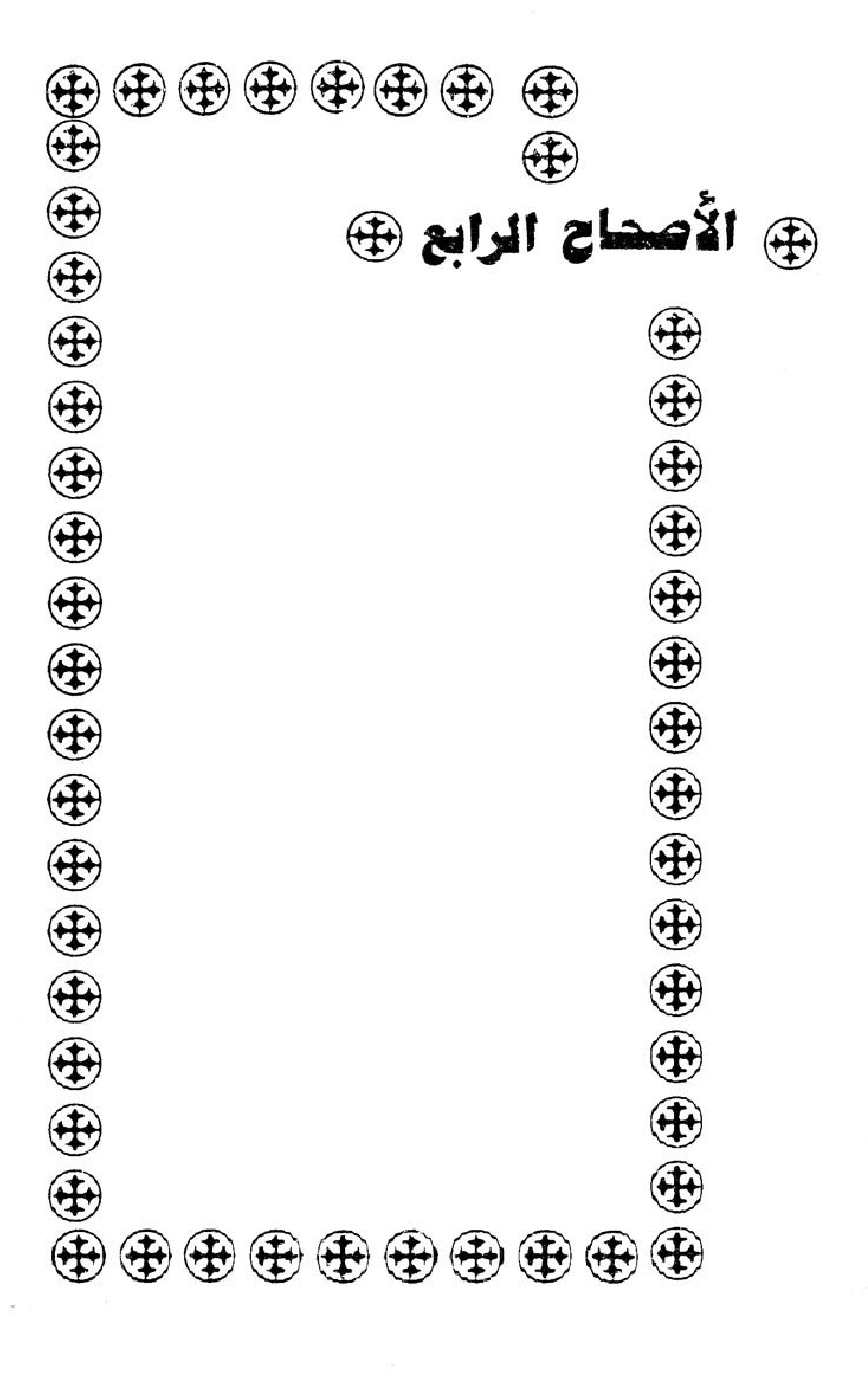
[سيف العين هو أن تتطلع على الدوام نحو الرب لترى باستقامة ولا تتدنس بشيء ـ وسيف السمع هو الإصغاء للروحيات وعدم الإنصات للأباطيل وهكذا (غريغوريوس النيسى)] .

+ الستون جباراً الذين حول التخت هو إشارة إلى كل المؤمنين الذين عليهم حماية الإيمان والكنيسة باستعداد روحى .

«اخرجن يا بنات صهيون وانظرن الملك سليمان بالتاج الذى توجته به أمه فى يوم عرسه وفى يوم فرح قلبه» (نش ٣ : ١١)

هذه هى الدعوة التى توجهها الكنيسة للعالم للتمتع بوليمة الصليب ... إنها تطلب من البشرية أن تخرج أى تخرج عن ذاتها وأنانيتها ... حتى ما ترى الرب يسوع سليمان الجديد وقد توجته أمه ، أى أمة اليهود بإكليل الشوك .

وبالنظرة الروحية يرى المؤمنون التاج السرّى للمصلوب ألا وهو كما يقول القديس كيرلس الأورشليمى «غفران خطايانا وإزالة اللعنة» [اغفر لهم يا أبتاه .. قد أكمل] ... هذا هو يوم عرسه ويوم فرح قلبه «من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزى» ، وقدم دمه الزكى مهراً لعروسه الكنيسة !!



الأصحاح الرابع

« ها أنت جميلة يا حبيبتى ها أنت جميلة عيناك حمامتان من تحت نقابك. شعرك كقطيع مَعزٍ رابض على جبل جلعاد. أسنانك كقطيع الجزائز الصادرة من الغسل اللواتى كل واحدة مُتْئِمٌ وليس فيهن عقيم. شفتاك كسلكة من القرمز. وفمك حلو. خدك كفلقة رمانة تحت نقابك. عنقك كبرج داود المبنى للأسلحة. ألف مجن عُلّق عليه كلها أتراس الجبابرة. ثدياك كخشفتى ظبية توأمين يرعيان بين السوسن. إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال أذهبُ إلى جبل المرّ وإلى تل اللبان. كلك جميل يا حبيبتى ليس فيك عيبة » (٤ : ١ - ٧).

يتحدث العريس الملك فى هذا الاصحاح إلى عروسه بأسلوب عذب يكشف به عن جمالها ونظرته لها، ومدى إعجابه بها وأنه لا مثيل لها فى جمالها فيقول لها « ها أنت جميلة يا حبيبتى ها أنت جميلة »... ثم أخذ يتغنى بسبع صفات من صفاتها يتجلى فيها جمالها. كان يتأملها واحدة واحدة بعين الإعجاب ...

لقد تغنى بجمالها فى العينين، والشعر، والأسنان، والشفتين، والخد، والعنق، والثديين... ولأن كل واحدة من هذه الصفات كانت جميلة، كما أن العدد ٧ يشير إلى الكمال، لذا قال العريس « كلك جميل يا حبيبتى ليس فيك عيبة ».

وقبل أن نتناول بالحديث كل صفة من هذه الصفات السبع نقول إن هذا الجمال الفائق فى عينى العريس لا دخل للطبيعة فيه ، لكن جمالها هو هبة إلهية خلقتها عليه نعمته . «سوداء وجميلة» (١ : ٥) ... كما أن ذلك يرجع إلى محبة الله لجبلته . إنه من خلال هذه المحبة يراها جميلة ... علينا أن ندرك أننا فى ضعفنا لا جمال روحى لنا وإن وجد فإنه عطية من الله «لا أنا بل نعمة الله التى معى» (١كو١٥ : ١٠) .

(١) « عيناك حمامتان من تحت نقابك »

+ العينان جميلتان كعينى حمامة لأنها شبه حمامة الروح القدس ... وإذ تنظر على الدوام الروح القدس تتجلى صورته على عينيها فيكون لها البصيرة الروحية البعيدة .

+ والعين تشير إلى النور والفطنة الروحية « سراج الجسد هو العين . فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً » (مت٦ : ٢٢) ... والعين تشير إلى القدرة على التمييز الروحى ... كلما عشنا فى الروح كلما كانت لنا العين البسيطة كالحمام . والإدراك الروحى نناله من الروح القدس الذى يُشَبّه بالحمامة .

+ أما كونها تحت النقاب فلأن هذه الصفة الجميلة لا يعرفها العالم ولا يدركها لأنها خفية عن نظرهم ، لكنها جميلة فى عينى المسيح ... كم كانوا مكرمين وأعزاء لقلب الرب فى أيام جسده أولئك الذين إذ تبعوه فى زمان رفضه أثبتوا أن لهم فطنة وقدرة على التمييز الروحى أو بالحرى

البصيرة الروحية المقدسة، أولئك الذين استحقوا قول الرب لهم «طوبى لعيونكم لأنها تبصر» (مت ١٣ : ١٦).

+ إن العينين تحت النقاب تشيران إلى جمال روحى سرّى غير مدرك من الناس بل هو للمسيح ولمسرته دون سواه. وهو يحتفظ به ليستخدمه فى الوقت المناسب حسب قصده وحكمته. فقد أعطى لبولس رؤى سماوية «مناظر الرب وإعلاناته» عندما اختطف إلى الفردوس، ولكنه احتفظ بها تحت نقاب، ولم يشر إليها لمدة ١٤ سنة (٢ كو ١٢). فالتحدث بمثل هذه الأمور يفتح باباً للمجد الباطل. ولكن إخفاءها تحت النقاب إلى الوقت المعين يؤول إلى مجد المسيح.

+ وثمة أمر آخر، وهو أن وصف العينين أنهما تحت النقاب لأن المؤمنين مهما تمتعوا ببصيرة روحية فى هذا العالم، لكنها تعتبر كما لو كانت تحت نقاب متى قورنت بالرؤية فى الحياة الأبدية.. «لأننا نعلم بعض العلم... فإننا نظر الآن فى مرآة فى لغز لكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت» (١ كو ١٣ : ٩، ١٢).

(٢) «شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد»

الشعر يشير إلى التكريس والطاعة كما فى حالة النذير... «إلى كمال الأيام التى انتذر فيها للرب يكون مقدساً ويربى خصل شعر رأسه... إنه كل أيام انتذاره[11] مقدس للرب» (عدد ٦ : ٥، ٨)... وكم هى

(١١) تكريسه.

جميلة فى عينى المسيح صورة هذا التكريس !!

+ والشعر له مدلول آخر فى الكتاب المقدس ... إنه غطاء . وشعر المرأة الطويل الذى يماثل شعر النذير يعبّر عن الخضوع ... وجميل أن نقدم ذواتنا فى خضوع تام للرب ... إنه الوسيلة الوحيدة التى نعلن بها سلطان المسيح أمام العالم .

+ إن كان السيد المسيح هو رأس الكنيسة ، فكما يقول القديس أمبروسيوس - فإن الكنيسة هى الشعر المحيط بالرأس الذى يعيش عليه . بدون الرأس لا يساوى هذا الشعر شيئاً ، ولا يكون له وجود .

+ وكون شعر العروس هو « كقطيع معز » ، فإنه يرسم أمامنا صورة جميلة لوحدة المؤمنين وارتباطهم معاً . إن خضوع المؤمنين الفردى للرب وتكريس حياتهم له يؤول إلى اتحادهم وارتباطهم معاً . إن كلمة قطيع تصور القديسين لا كأفراد بل جماعة (قطيع) ، رعية واحدة لراعٍ واحد .

+ وماذا عن جبل جلعاد ؟ إنه الجبل حيث المرعى الدسم ووفرة العشب ، فصار مثلاً لحياة الشبع ... فحينما وعد الرب شعبه قديماً أن يخلصهم من بابل وضيقها وعنقها ، وعدهم أن يدخل بهم إلى الشبع فقال لهم « أرد اسرائيل إلى مسكنه فيرعى كرمل وباشان وفى جبل افرايم وجلعاد تشبع نفسه » (إر ٥٠ : ١٩) ... وقال فى سفر ميخا « لترع فى باشان وجلعاد كأيام القدم » (ميخا ٧ : ١٤) .

+ وقديماً كان البَلَسان ينبت فى جلعاد . وكان يعرف برائحته العطرة

واستخدمه الأطباء فى شفاء الجروح والأمراض ... لهذا قال إرميا «حزنت أخذتنى دهشة. أليس بَلَسان فى جلعاد أم ليس هناك طبيب. فلماذا لم تُعصب بنت شعبى» (إرميا ٨: ٢١، ٢٢). وكأنه على جبل جلعاد يعصب الطبيب الحقيقى الرب يسوع جراحات نفوسنا ويشفى أمراضنا ببلسانه ...

(٣) «أسنانك كقطيع الجزائز الصادرة من الغسل اللواتى كل واحدة مُتْئِم وليس فيهن عقيم»

الأسنان تشير إلى القدرة على فهم كلمة الله والتغذى بها ... إن اللبن هو طعام الأطفال الذين ليست لهم أسنان بها يمضغون الطعام القوى. ولكننا إذ ننمو فى النعمة تصير لنا القدرة على تناول طعام البالغين، أى الاغتذاء بالمسيح ذاته.

+ ولماذا يشبّه الأسنان بقطيع الجزائز ؟! (= الغنم المجزوزة)

الصوف فى الكتاب المقدس يشير إلى حياة الجسد. لذا كان محظوراً على الكهنة فى العهد القديم أن يدخلوا القدس بثياب مصنوعة من الصوف، إنما تكون ثيابهم من الكتان النقى إشارة إلى برّ المسيح الذى نناله بالروح القدس ... والغنم المجزوزة أى التى يقصّ صوفها - أى يقطع الإنسان عن نفسه أفكار الجسد وأعماله بالروح القدس الذى لنا بالمعمودية المقدسة وهى التى أشار إليها بقوله «الصادرة من الغسل» ... كما أكدت الشريعة الموسوية بعدم لبس الثياب الصوف مختلط بكتان

« لا تلبس ثوباً مختلطاً صوفاً وكتاناً معاً » (تث ٢٢ : ١١) . لأنه كما يقول بولس « أية خلطة للبر والإثم ، وأية شركة للنور مع الظلمة . وأى اتفاق للمسيح مع بليعال . وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن » (٢كو٦ : ١٤ ، ١٥) .

+ أخيراً تتميز الغنم بالثمر الكثير « كل واحدة متئم وليس فيهن عقيم » ... أى أن كل واحدة من الغنم تلد توأمين- أى اثنين ... إن فى هذا إشارة إلى كثرة الثمر .

يرى أغسطينوس فى عبارة « كل واحدة متئم » إشارة إلى الوصيتين المتكاملتين معاً محبة الله ومحبة القريب ، فيهما يكمل الناموس والأنبياء (مت ٢٢ : ٤٠) ، ويرى القديس كيرلس الأورشليمى إنها تشير إلى النعمة المزدوجة التى بها يتكمّل الإنسان أعنى الماء والروح أو خلال النعم التى أشار إليها العهدان : القديم والجديد .

(٤) « شفتاك كسلكة من القرمز ، وفمك حلو »

إن كانت أسنان العروس تشير إلى القدرة على التغذى بالطعام القوى ، أو إلى ما يدخل من طعام ، فإن شفتيها تشيران إلى ما يخرج منها . وما يخرج من شفاهنا هو ثمر ما تناولنا من طعام . فالإنسان الذى يتغذى على الطعام الروحى يظهر جمالها فى كلامها الحلو . إنه بقدر ما يغتذى الإنسان الداخل بقدر ما يتغير ذلك الإنسان إلى صورة المسيح . وتكون الشفاه المعبّر عما فى الداخل « الإنسان الصالح من كنز قلبه

الصالح يخرج الصلاح. والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشرور. فإن من فضلة القلب يتكلم فمه» (لو٦ : ٤٥).

إن أسنان العروس تعبّر عن النضوج ولا علاقة لها بحالة الطفولة... ومتى تغذت النفس فى الداخل بالطعام الروحى فإن الشفاه تلهج بما فى باطنها...

+ إن كل صفة من صفات الجمال التى للعروس اكتسبتها من المسيح لأنها «من لحمه ومن عظامه» على نحو ما كانت حواء من آدم من لحمه ومن عظامه.... نقرأ عن المسيح «انسكبت النعمة على شفتيه» (مز٤٥ : ٢)... «كلمات النعمة الخارجة من فمه» (لو٤ : ٢٢) (= مشابهين صورة ابنه).

+ «شفتاك كسلكة (= خيط) من القرمز» ... وسلكة القرمز تشير إلى أمرين:

● إنها تشير إلى الفداء كما يظهر من قصة راحاب التى علقت حبلاً من القرمز فى كوة بيتها (يش ٢ : ٢١).

● وتشير إلى جلال الملوك - إن القرمز هو اللون الملوكى «فعروه وألبسوه رداءً قرمزياً وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة فى يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود» (مت٢٧ : ٢٨، ٢٩).

• وهذا كله يشير على أن حياة العروس قد تطهرت من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن شفتيها خاضعتان لمليكها وعريسها .

(٥) « خدك كفلقة رمانة تحت نقابك »

الخد رمز للجمال ، والخدود لها دور فى إظهار الجمال . كما أنها جزء من الوجه يكشف عن انفعالات الفرح والحزن والغضب ... فكل هذه الانفعالات تظهرها بوضوح تعبيرات الوجه .

والمقصود بفلقة الرمانة أن الرمانة قد فتحت وصار باطنها مرئياً وظاهراً ... والرمان فى الكتاب المقدس يشير إلى الحياة الغنية بسبب وفرة بذوره المكتنزة بالعصير الحلو الأحمر .

إن سرّ جمالها هو دم المسيح الأحمر القانى الذى يقدسها فلا يكون للدنس أثر فى داخلها . كما يشير الاحمرار إلى احتشام النفس وحيائها وهى صفة ممدوحة . إنها لا تشابه أهل العالم فى العجرفة ... إن هذا الجمال تحت نقابها لأنه من الداخل .

(٦) «عنقك كبرج داود المبنى للأسلحة . ألف مجن عُلق عليه كلها أتراس الجبابرة»

العنق رمز لإرادة الإنسان . وما يفعله الإنسان بإرادة ذاتية مما يجعله متكبراً وغير خاضع لله يسميه الكتاب صلابة عنق (إش ٣ : ١٦) . لكن عنق العروس لا يدل على صلابة بل على إرادة مخضعة لإرادة الرب وهذا ما يجعلها جميلة فى عينى العريس .

لقد شبه عنقها بالبرج وهذا يعنى أنها مستقيمة وليست محدبة أو منحنية كما نقرأ عن المرأة المنحنية التى لم تكن تستطيع أن تنتصب، تلك التى ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة. لقد كانت منحنية إلى أسفل لا تبصر شيئاً إلا الأرض. أما العروس فهى منتصبة ليست مقيدة من الشيطان ولا تنظر إلى الأرضيات.

إن تشبيهها بداود (برج داود) إنما يذكرنا بداود الذى كان حسب قلب الله الذى صنع كل مشيئته (أع ١٣ : ٢٢)... لقد قتل داود هذا جليات حينما قال له «أنت تأتى إلىّ بسيف وبرمح وبترس. وأنا آتى إليك باسم رب الجنود» (١صم ١٧ : ٤٥).

إن هذا البرج كان مبنياً للأسلحة وعُلق عليه ألف مجن... إن عدد الدروع (ألف) يشير إلى طبيعة هذه الأسلحة. رقم ١٠٠٠ يشير للحياة السماوية. وهكذا يتضح أن أسلحة الكنيسة سماوية روحية «أسلحة محاربتنا ليست جسدية، بل قادرة بالله على هدم حصون» (٢كو ١٠ : ٤). إن استفانوس مثل للعنق الذى كالبرج وهو يحاج أمام مجمع اليهود (أع ٧ : ٨- ٦٠).

(٧) «ثدياك كخشفتى ظبية [١٢] توأمين يرعيان بين السوسن»

الثديان هما رمز للتطور والنضوج والنمو- وهما هنا رمز للنضوج والنمو الروحى- وهما أيضاً رمز التغذية أى تغذية الآخرين ونموهم:

---

(١٢) توأم من الغزلان الصغيرة.

إن السيد المسيح يظهر للكنيسة متمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب (رؤ١ : ١٣) إذ يقدم العهدين القديم والجديد كثديين ترضع منهما الكنيسة وتتقوت بهما. فإن الكنيسة أيضاً صار لها العهدان كثديين يتقوت بهما أولادها.

تظهر كلمة الله الواردة فى العهدين القديم والجديد كتوأم من الغزلان الصغيرة ولدا من أم واحدة، وفى ذلك إشارة إلى تكامل العهدين معاً دون أدنى تمييز بينهما. فالعهد القديم تنبأ عن العهد الجديد، والجديد كشف القديم ووضّحه. والسوسن يشير إلى جماعة المؤمنين.

« إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال أذهب إلى جبل المرّ وإلى تل اللبان » (نش ٤ : ٦)

يبدو أن هذه الكلمات هى كلمات العروس... فبعد أن مدحها العريس مظهراً نواحى الجمال فيها. تعلن العروس لعريسها أن سرّ هذا كله هو صليب العريس وقيامته. لهذا تتعهد أمامه أن تذهب معه إلى جبل المرّ تدخل معه حياة الألم، وتدفن معه فى القبر- كما تذهب معه إلى تل اللبان لتحيا كل أيام غربتها فى صلاة دائمة حتى يفيح نهار الأبدية وتنهزم ظلال الزمان.

وكانت إجابة العريس :

« كلك جميل يا حبيبتى ليس فيك عيبة » (نش ٤ : ٧)

إنه وكأنه يختم حديثه بالقول : إنه يطول الحديث عن وصف جمال

من خرجت معه إلى شركة آلامه (جبل المرّ) ودخلت معه فى حياة الصلاة والشركة ... إن حبى لك يخفى كل ضعفاتك. ودمى يستر كل خطاياك. مبرزاً كل جمال أزينك به، فلا أرى فيك عيباً قط.

«هلمّى معى من لبنان يا عروس معى من لبنان. انظرى من رأس أمانة، من رأس شنير وحرمون من خُدور الأسود من جبال النمور» (نش ٤ : ٨).

رأينا فيما سبق كيف يتحدث العريس إلى العروس مظهراً محبته العميقة لها وإعجابه بها وبجمالها وأنه ليس فيها عيبة ... ولكنه فى نفس الوقت إذ يرى الأخطار المحدقة بها يدعوها لتصحبه « هلمّى معى » حيث النجاة والأمان. وفى نفس الوقت يدعوها العريس لحياة الجهاد الروحى الجهاد الذى يسميه بولس الجهاد القانونى «لا نكلل إن لم نجاهد قانونياً » ... إن النفس أمامها أعداء روحيين يشبههم بالأسود والنمور!! والرب يحارب عنكم وأنتم تصمتون.. أما هذه الحرب التى يكون فيها الله معنا فنلاحظ عليها :

- إن خرجت النفس محتمية فى الرب فإنها بالضرورة تغلب وتنتصر وبدونه تنهزم « بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً ».

- إن الله يدعو عروسه أن تخرج من لبنان، حيث حياة السهولة والتنعم لتصارع مع قوات الشر، وهى بصحبة عريسها لتقهر الأسود والنمور.

● مبدأ الخروج هو من رأس أمانة (= الإيمان) فنحن بالإيمان نحيا «أما البار فبالإيمان يحيا» .

● إن مباهج هذا العالم التى تجتذبنا تخفى وراءها أشد أعدائنا . فلبنان يخفى وراءه الأسود والنمور!! كم من أولاد الله جذبتهم الرغبة الملحة فى التشبه بالعالم ، أو أشياء تبدو أنها بريئة ، وسلكوا الطريق التى تظهر مستقيمة فى أعينهم ..
لكن الرب يكشف الخطر وصوته ينادينا أن نبتعد عن مواطن الخطر... من رأس الإيمان ومن رأس شنير وحرمون ، ينادينا « هلموا إلىّ » .

● ونلاحظ أن العريس حين يحذر عروسه من مخاطر الأسود والنمور لا يقول لها « اذهبى وابعدى لأن الخطر قريب منك » بل يقول لها « هلمى معى » هذا هو اسلوب الله . وفى القرب منه كل الأمان . إن كلمة « هلمى » فيها معنى الشركة ، وكلمة « اذهبى وابعدى » فيها معنى الانفصال !!

« قد سبيتِ قلبى يا أختى العروس ، قد سبيتِ قلبى بإحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك » (٤ : ٩)

هنا يخاطب الرب خاصته بلقب جديد . كان يدعوها قبلاً « حبيبتى » و « عروسى » لكنه يدعوها الآن « أختى العروس » ... هذان اللقبان نجدهما فى هذا الاصحاح والاصحاح الذى يليه ... وهذا اللقب

يعبّر أن الرب له بخاصته علاقتين فهو ليس عريساً فقط ، بل صار أخاً لخاصته لأنه « إذ تشارك الأولاد فى اللحم والدم ، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما » (عب ٢ : ١٤) وهو « البكر بين أخوة كثيرين » و « القدوس والمقدسين جميعهم من واحد فلهذا السبب لا يستحى أن يدعوهم أخوة قائلاً أخبر باسمك أخوتى » (عب ٢ : ١١ ، ١٢) . والمسيح بعد قيامته المجيدة من بين الأموات يعلن تلك العلاقة المباركة فى حديثه مع مريم المجدلية « اذهبى إلى أخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » (يو ٢٠ : ١٧) .

● يقول العريس للعروس «قد سبيت قلبى يا أختى العروس قد سبيت قلبى » . إن لبنان بمناظره الطبيعية الخلابة لم تستطع أن تلهيه عن محبة عروسه ، بل إن العروس هى التى سبت قلبه سبياً !!.. إن مباهج جنة عدن فى نظر آدم لم تكن شيئاً بمقارنتها بسروره من وجود حواء معه ... لقد كانت هى جزء من كيانه «عظم من عظامى ولحم من لحمى » ... لقد ألقى على آدم سبات وخرجت حواء من جنبه ، وهكذا آدم الثانى نام على الصليب وخرجت الكنيسة من جنبه الذى طعن بالحربة !! كم تكون النفس البشرية عزيزة فى عينى عريسها !! (قيمة التجسد ، حين اشترك معنا ابن الله فى الجسد الواحد) .

● إن المحبة هى التى « سبت قلب العريس » ـ المحبة وحدها التى هى أقوى من الموت . ومن هو الإنسان الذى يأسر قلب المسيح الكبير؟! إنه الخاطىء الذى خلصته نعمة الله المجانية ... لقد بذل حياته فداءً عنه ،

فكيف لا يكون محبوباً إلى قلبه محبة تفوق العقل ؟! وإذا كان المسيح دفع ثمناً لا يقدر، فإن قيمة نفس الإنسان بالتالى لا تقدر... إن المسيح هو التاجر الذى مضى وباع كل ما كان له واشترى اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن !! لا نعجب إذن إن كان العريس يقول لمحبوبته العروس « قد سبيت قلبى » ، فداود بروح النبوة قال « الملك قد اشتهى حسنك » (مز٤٥ : ١١) . وهو عما قريب سيراها فى المجد « كعروس مزينة لرجلها » (رؤ٢١ : ٢) .

• ماذا يقصد العريس بقوله لعروسه « قد سبيت قلبى بإحدى عينيك » . بإحدى عينيك يقصد بها البصيرة الداخلية أو العين الداخلية . لأن الإنسان له بصيرتان خارجية يرى بها الأمور المنظورة ، وداخلية يعاين بها الله وهى القلب . إن ما يأسر قلب الله هى دموع البصيرة الداخلية .

• فى رسالة بعث بها القديس جيروم إلى كاهن ضرير بأسبانيا تحدث عن العين التى تسبى قلب الله قائلاً « يليق بك ألا تحزن بسبب حرمانك من العينين الجسديتين اللتين يشترك فيهما النمل والذباب والزحافات كسائر البشر، بل افرح بالحرى لأن لك العين التى قيل عنها فى نشيد الأناشيد قد سبيت قلبى بإحدى عينيك » إن هذه العين هى التى تعاين الله .

• أما قوله « بقلادة واحدة من عنقك » ... إنها القلادة التى تزين العنق الداخلية . وهى ليست شيئاً آخر سوى حمل نير المسيح وطاعة الوصية الإلهية كما جاء فى سفر الأمثال « اسمع يا ابنى تأديب أبيك ولا

ترفض شريعة أمك، لأنهما اكليل نعمة لرأسك وقلائد لعنقك» (أم ١ : ٨، ٩)... فالعروس تتزين بقبولها تأديبات الله بفرح وسرور وحفظها شريعة أمها أى الكنيسة...

«ما أحسن حبك يا أختى العروس. كم محبتك أطيب من الخمر. وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب» (نش٤ :١٠)

يفتتح الروح القدس سفر النشيد بكلمات العروس التى وجهتها إلى عريسها «لأن حبك أطيب من الخمر... نذكر حبك أكثر من الخمر» (١ : ٢، ٤)... وها هو العريس يناجى عروسه بنفس هذه الكلمات «ما أحسن حبك يا أختى العروس. كم محبتك أطيب من الخمر»... إن مصدر هذه المحبة هى العريس. ومصدر محبتنا لله مصدرها المسيح. وبقدر ما تزداد شركتنا واتصالنا به بقدر ما تزداد هذه المحبة.

لقد تعجب رؤساء اليهود وشيوخهم - فى معجزة شفاء مقعد باب الهيكل الجميل - عندما رأوا مجاهرة بطرس و يوحنا وشجاعتهما فى الشهادة للمسيح مع أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان. لكنهم عرفوا «أنهما كانا مع يسوع» (أع ٤ : ١٣). فإن كنا فى صحبة المسيح فلابد وأن تظهر صورته فى حياتنا... إن محبتنا ليست سوى انعكاس لمحبته لنا... إن محبتنا لله لا تقارن بمحبته لنا، ومع ذلك فإن محبتنا له تنعش قلبه وتحرك عواطفه.

• أما عن رائحة أدهانها التى هى أطيب من كل الأطياب ... نقول من أين لها رائحة الأدهان الطيبة هذه؟ لقد كانت بحسب الطبيعة ميتة روحياً ورائحتها نتنة «حنجرتهم قبر مفتوح» (رو٣ : ١٣)، لكن نعمة ربنا المخلّصة قد غيرتها وصيّرتها خليقة جديدة... فى شركتّنا المقدسة والحلوة مع المسيح نكتسب رائحة أدهانه الطيبة فتظهر رائحة المسيح الذكية فى حياتنا المقدسة، وهذا هو عمل الروح القدس فينا ...

• و يرى غريغوريوس النيسى أن هذه الرائحة التى تفوح والتى هى أطيب من كل الأطياب، إنما إشارة إلى سمو كنيسة العهد الجديد التى فاقت بعبادتها رائحة كل عبادة قدمت قبل ذلك... لم تعد الكنيسة تقدم ذبائح حيوانية بل الذبيحة الفريدة التى يشتمها الآب رائحة رضا. فإنه خلال هذه الذبيحة يشتم الله كل عبادتنا وكل جهادنا الروحى كرائحة طيبة أفضل من كل الأطياب ...

«شفتاك يا عروس تقطران شهداً. تحت لسانك عسل ولبن ورائحة ثيابك كرائحة لبنان» (٤ : ١١)

ماذا يرى العريس فى عروسه؟ إنه يراها كالنحلة التى قيل عنها «النحلة ضئيلة بين الطير وشهدها أعذب من يُستساغ من الطعام» (ابن سيراخ ١١ : ٣). إن الشهد والعسل هما ثمرة المثابرة على العمل فى صبر وجهاد، فالنحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة لتمتص رحيقها حتى تمتلىء وتحوله فى داخلها إلى شهد يُشبع الآخرين.

• ماذا يرى العريس فى عروسه... إنه يرى تحت لسانها عسل ولبن... وكأنه يراها الأرض المقدسة التى تفيض لبناً وعسلاً (خر٣: ٨، ١٧)... إن الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً التى وعد بها الرب شعبه لتكون لهم موضع راحة جسدية وشبع جسدى ومركز للعبادة إنما هى رمز للنفس البشرية التى تصير موضع راحة للرب يستريح فيها، وتفيض -لا لبناً وعسلاً- بل من ثمر الروح لبناً وعسلاً روحياً يشتهيه الله وملائكته ويفيض على الآخرين.

• أما عن الشهد الذى يقطر من شفتيها فيشير إلى كلمات النعمة التى تصدر عنها. أما العسل فكالكنز المخفى تحت اللسان- إنه كلمة الله... حينما أكل حزقيال كلمة الله صار فى فمه كالعسل حلاوة (حز٣: ٣)... ويقول داود «إن كلماتك حلوة فى حلقى. أفضل من العسل والشهد فى فمى» (١١٨ف١٣)... وهى «أحلى من العسل والشهد» (مز١٩: ١٠)... ويقول سليمان فى الأمثال «الكلام الحسن شهد عسل حلو للنفس وشفاء للعظام» (أم١٦: ٢٤).

• **« رائحة ثيابك كرائحة لبنان »**

إن الثياب تشير إلى الصورة الخارجية. وكون رائحة ثياب العروس كرائحة لبنان العالى المرتفع، معنى ذلك أن حياتها الظاهرة أمام الآخرين هى حياة السمو والارتفاع الروحى...

«أختى العروس جنة مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم» (٤ : ١٢)

● **العروس جنة مغلقة**، عين مقفلة، ينبوع مختوم لأنها لله وحده دون سواه. إنها جنته، وهذا ما يجعلها جميلة فى عينيه، وهذا ما يجب أن نراعيه فى حياتنا ـ أن تكون حياتنا له وحده... إن جنته ليست حديقة عامة يستطيع كل من يريد أن يدخلها... إنها مغلقة لتكون له وحده... وهكذا يتم فينا قول الرسول **«لأقدم عذراء عفيفة للمسيح»** (٢كو١١: ٢). هذه الكلمات يوجهها الرسول للمؤمنين جميعاً.. فالعذراوية هنا ليست عذراوية الجسد بل عذراوية الروح. فالعذراء هى التى لم تعرف رجلاً معرفة الزواج. وهكذا النفس العذراء هى التى لم تعرف العالم معرفة الزواج أيضاً. فالزواج من شأنه أن يجعل الاثنين واحداً والزواج بالعالميات يجعل الإنسان والعالم شيئاً واحداً. والسيد المسيح يريد أن نكون له وحده ومن خلاله نحب الناس. فتكون محبة مسيحية لكن أية محبة بدون المسيح ربما تنحرف هذه المحبة.

● عندما كان يموت إنسان ما من اسرائيل فى خيمته، فكل إناء مفتوح ليس عليه سدادة بعصابة يكون نجساً (عدد ١٩ : ١٥)... ونحن موجودون فى عالم ساده الموت الروحى، وقد غشى فساده ورائحته المنتنة كل شيء. فلكى نكون طاهرين يجب أن نكون أوانى محكمة القفل... المسيحى يحتاج فى هذه الأيام الصعبة أن يكون مغلقاً ومقفلاً ومختوماً. وإن كان العالم فى هذا يعتبرنا ضيقين ولكن ما أعظم الفرح الذى نناله حينما نحفظ حياتنا للمسيح وحده!!

• **« عين مقفلة »** ... لا يستطيع أن يرتوى من مياهها إلا صاحبها .

• **« ينبوع مختوم »** ... العروس بجملتها لعريسها وله وحده . إنها قانعة بذلك . والمسيح كفايتها . وهى ينبوع مختوم له دون الآخرين .

إن الكلمات « مغلقة ومقفلة ومختوم » توحى بضرورة انفصال المؤمن عن العالم انفصالاً مطلقاً ... فالمسيحى الحقيقى وإن كان فى العالم ولكنه ليس منه « ليسوا من العالم كما إنى أنا لست من العالم » (يو١٧) . إن العريس لا يمكن أن يرضى بغير ذلك «اسمعى يا ابنتى وانظرى وأميلى أذنك **وانسى شعبك** وبيت أبيك فإن الملك قد اشتهى حسنك » (مز٤٥) .

• **والعريس يريد أن تكون عروسه له وحده ـ لا لشعبها ولا لبيت أبيها !!**

هذا ما نراه فى رفقة التى تركت الكل لأجل أسحق . لقد نسيت شعبها وبيت أبيها وسارت فى برية قاحلة بقلب ملىء بالمحبة والإخلاص لعريسها الذى لم تره ولا عرفته . وإذ رأته من بعيد نزلت عن الجمل وتغطت بالبرقع دليل الحياء والخضوع . لذا اشتهى اسحق حسنها وأحبها ... هذا هو واجبنا كأفراد وككنيسة ...

«أغراسك فُردوس رمان مع أثمار نفيسة فاغية [١٣] وناردين [١٤]. ناردين وكركم [١٥]. قصب الذريرة [١٦] وقرفة [١٧] مع كل عود اللبان. مرّ وعود مع كل أنفس الأطياب» (٤ : ١٣، ١٤)

بالرجوع إلى (خر٣٠ : ٢٣- ٢٥) نجد أن نفس هذه الأطياب هى أهم الأطياب العطرية التى عمل منها دهن المسحة المقدسة الذى مسح به هارون رئيس الكهنة وبنيه. إنه إشارة إلى ما ينشئه الروح القدس فى المؤمنين من صفات روحية مقدسة.

يذكر بولس الرسول فى (غل ٥) قائمة مباركة لثمر الروح القدس «محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف» ... كما أن

---

(١٣) فاغية : حنّاء (نش ١ : ١٤).

(١٤) ناردين : هو طيب كثير الثمن يستخلص من نبات صغير الحجم به دهنت مريم أخت لعازر قدمى المخلص (يو١٢ : ١٣) كما سكبته هى أو غيرها على رأسه قبل الفصح بستة أيام (مر١٤ : ٣) علامة حبها.

(١٥) الكركم : نبات أصفر اللون يُطحن ويخلط بزيت الزيتون ليستخدم طيباً. يستخدم فى الطعام والأدوية.

(١٦) قصب الذريرة : عود له رائحة ذكية يستخرج منه زيت يستخدم فى الأمور الخاصة بالذبيحة (إش ٤٣ : ٢٤؛ إر٦ : ٢٠).

(١٧) القرفة : نوع من الخشب له رائحة طيبة، استخدم كأحد المركبات الخاصة بالزيت المقدس لتقديس هارون وبنيه (خر٢٠ : ٢٢). ولا يزال يستخدم كأحد عناصر زيت الميرون عند طبخه. ويستخدم كنوع من الأدوية.

الرب قد أعدّ فردوساً لشعبه فى السماء هكذا يريد أن يجد فى قلب كل مؤمن فردوساً مليئاً بالثمار التى تفرح قلبه ... فردوساً مليئاً بالمحبة والطهارة والصلاح والوداعة واللطف والشفقة.

«ينبوع جنّات بئر مياه حية وسيول من لبنان. استيقظى يا ريح الشمال وتعالى يا ريح الجنوب. هبّى على جنتى فتقطر أطيابها. ليأت حبيبى إلى جنته ويأكل ثمره النفيس» (٤ : ١٥، ١٦)

يصف العريس عروسه مرة أخرى بأنها «ينبوع»، «بئر مياه حيّة». فى هذا إشارة واضحة إلى عمل الروح القدس فى الإنسان المؤمن... نادى الرب يسوع فى آخر يوم من عيد المظال وقال «إن عطش أحد فليقبل إلىّ ويشرب. من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حىّ. قال هذا عن الروح القدس الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه. لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجد بعد» (يو٧ : ٣٧- ٣٩).

لقد أُعطى الروح القدس من السماء ليسكن فى المؤمنين ليكونوا كجنات مثمرة- والجنات لن تأتى بالثمار النفيسة بدون «ينبوع... أو بئر ماء حية»... وإلا جفت وصارت بلا ثمر... «وسيول من لبنان» إنها إشارة إلى الروح القدس المنسكب من السماء.

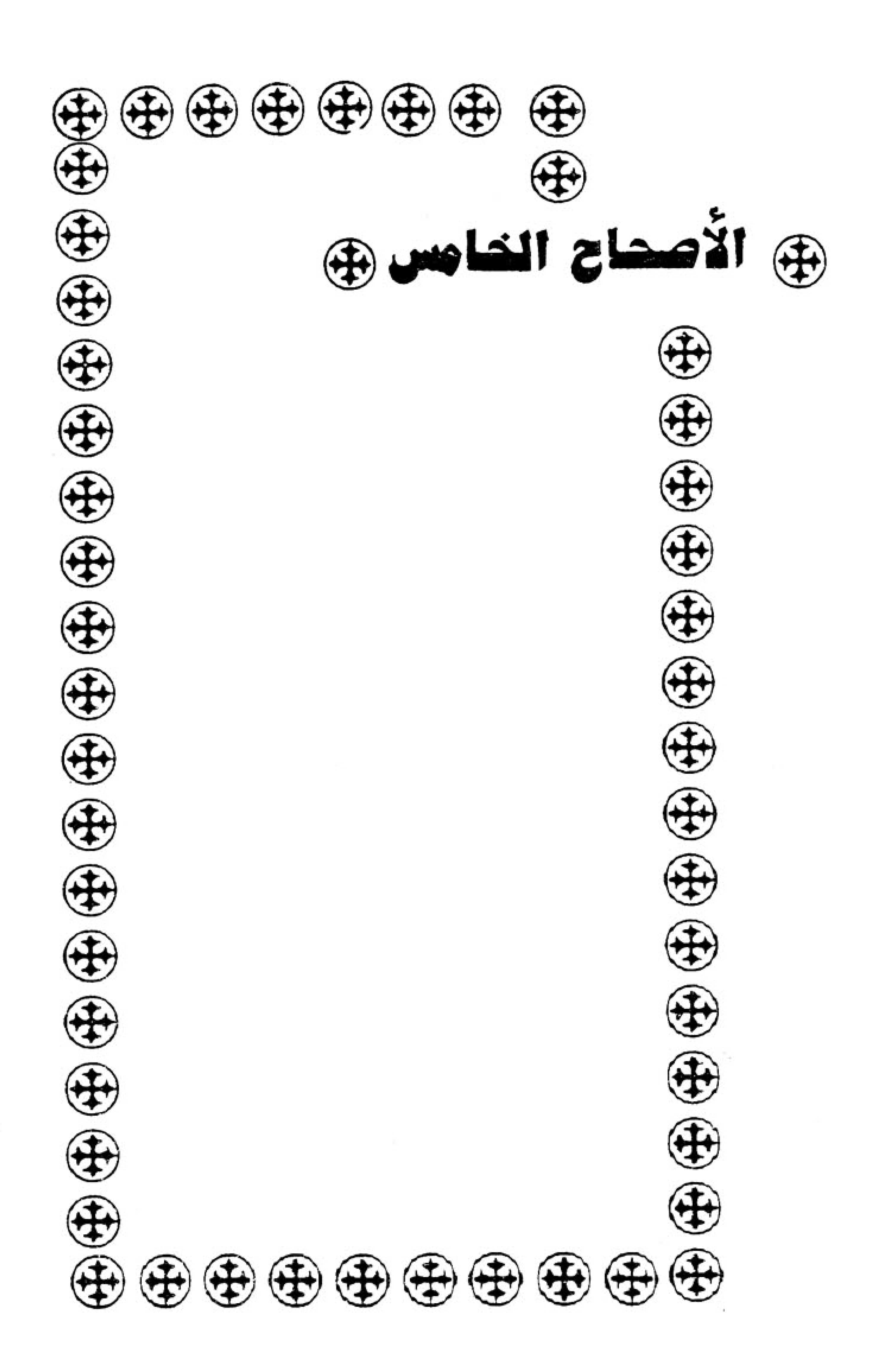
● كلمة «ريح» فى اللغة اليونانية هى بذاتها كلمة «روح».

ربما يكون المعنى أن العروس تطلب من عريسها أن يرسل لها روحه القدوس ليحيطها من كل جانب، فتعطى ثمراً متكاثراً يفرح به العريس.

وربما كانت ريح الشمال وريح الجنوب إشارة إلى التجارب... إنها لا تخاف مما يحيط بها لأن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله (رو٨: ٢٨) [ريح الشمال تشير إلى الخطية، وريح الجنوب إشارة إلى البرّ الذاتى] والعريس فى هذه كلها لا يحفظها فقط بل يخرج من الآكل أُكْل ومن الجافى حلاوة!!

النفس تدعو قلبها «جنتى» أى خاصة بى، لكنها سرعان ما تدعو عريسها قائلة «لينزل حبيبى إلى جنته»... إنها كرمه من عمل يديه وتحت رعايته، وهو فى وسطها فلن تتزعزع... إن القلب هو له والثمر منسوب إليه «ثمره النفيس»...

صفحة بيضاء



الأصحاح الخامس

«قد دخلتُ جنتي يا أختي العروس. قطفت مُرّى مع طيبى. أكلت شهدى مع عسلى. شربت خمرى مع لبنى. كلوا أيها الأصحاب. اشربوا واسكروا أيها الأحباء» (٥ : ١)

كانت آخر عبارة فى الاصحاح السابق، قول العروس لعريسها **«ليأتِ حبيبى إلى جنته ويأكل ثمره النفيس»**... وما لبث العريس أن أسرع بتلبية هذه الدعوة بلا أدنى تردد - لماذا؟

● لأن هذه الدعوة جاءت مطابقة لمشيئته «إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا».

● لأن هذه الدعوة **تخص** جنته - إنها إشارة إلى حياة التسليم الكامل... فبعد أن قالت العروس لريح الشمال وريح الجنوب «هبّى على جنتى»، أردفت قائلة «ليأتِ حبيبى إلى جنته ويأكل ثمره النفيس»... إنها جنته هو، ليأكل ثمره هو. فكل الغروس فى هذه الجنة هى من صنعه هو دون سواه، وهى ثمار روحه القدوس.

● يقول العريس «قد دخلتُ جنتى». ويرى البعض أن هذه الجنة ليست شيئاً آخر سوى الموضع الذى صُلب فيه الرب!! لأن العريس يقول «قطفت مرّى... شربت خمرى». أى أنه يشرب الخمر ممتزجاً بالمر الذى قُدم للرب وقت الصلب.

● **لكننا نتساءل : من هو هذا الذى تدعوه العروس لوليمتها ؟**

هو ذاك الذى «منه وبه وله كل الأشياء» (رو١١ : ٣٦). هو الذى يفتح يده و يشبع كل حىّ رضى (مز١٤٥ : ١٦)... هو ذاك الذى غرس هذه الجنة... على نحو ما أرضعت مريم المسيح طفلاً باللبن الذى وضعه هو فى ثدييها ، وحملته على ذراعيها بالقوة التى كانت تسرى فيها بإرادته «إن كنا نتكلم فكأقوال الله ، وإن كنا نعمل فمن نعمة يعطيها الله» .

● إن المائدة التى دعت العروس عريسها إليها هى جنة مغروسة أشجار حية وهى نحن وثمرها هو نفوسنا كما يقول المسيح «**طعامى** أن أعمل مشيئة أبى الذى أرسلنى» هذا هو طعامه **!!**

● إن العريس الملك ينزل إلى القلب و يسكن فيه و يستريح ، يقطف مرّه مع طيبه أى يجنى ثمار الصليب (= المرّ)، مع بركات قبره المقدس (= الأطياب)... يرانا حاملين صليبه ومدفونين معه عن العالم **!!**

● فى داخلنا يأكل شهده وعسله وكأنه دخل أرض الميعاد التى تفيض لبناً وعسلاً **!!** يأكل ذات النوعين من الطعام الذى أكل منهما مع تلاميذه بعد قيامته المجيدة مبرهناً أنه حىّ قائم من بين الأموات... وكأنه يجد كل ما فى قلبنا حلو وشهى كالشهد والعسل .

و يشرب خمره أى حبه الذى سكبه فى قلوبنا بروحه القدوس مع لبنه الذى يشير إلى البساطة (= الطفولة) والنقاوة .

• والعريس يدعو أصحابه وأحباءه أن يدخلوا معه جنته لكى يفرحوا و يشبعوا. من يكون هؤلاء الأصحاب ...؟ إنهم السمائيون الذين يفرحون بخاطىء واحد يتوب ... إنهم أصدقاء العريس «من له العروس فهو العريس. وأما صديق العريس الذى يقف و يسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس» (يو٣ : ٢٩).

«أنا نائمةٌ وقلبى مستيقظ. صوت حبيبى قارعاً. افتحى لى يا أختى يا حبيبتى يا حمامتى يا كاملتى، لأن رأسى قد امتلأ من الطلّ وقصصى من ندى الليل. قد خلعت ثوبى فكيف ألبسه. قد غسلتُ رجلىّ فكيف أوسخهما» (٥ : ٢، ٣).

+ «أنا نائمة وقلبى مستيقظ» ... تأتى بأكثر من معنى:

ربما كان النوم هنا يعنى الانصراف عن الله، والقلب المستيقظ يشير إلى أن الإنسان على قيد الحياة بحسب الجسد...

فمنذ البدء خلق الله الإنسان وأعطاه ناموساً طبيعياً (الضمير) يحضّه على فعل الخير و ينهاه عن فعل الشرّ و يقوده إلى معرفة الإله الحقيقى... لكن البشر «لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا فى أفكارهم واظلم قلبهم الغبى. و بينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء، وأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات» (رو١ : ٢١- ٢٣).

وفى مرحلة تالية أعطاهم الناموس المكتوب لكن هذا الناموس كشف لهم خطاياهم وشرورهم وقبح صورتهم الروحية دون أن يكون له القوة على تخليصهم.

وأرسل الله أنبياءه، لكن كان نصيبهم القتل والرجم «يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا» (مت ٢٣: ٣٧).

أخيراً يأتى «كلمة الله»... «صوت حبيبى قارعاً»... يقرع باب قلب الإنسان ويقف راجياً النفس أن تفتح له... أتى شمس البر لينير الظلمة التى اخترناها لأنفسنا ولكننا فضلنا الليل على النهار الذى تُشرق فيه شمس البر... «استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضىء لك المسيح» (أف ٥: ١٤).

+ **وربما كان النوم هنا يعنى فتور المحبة**... فى الاصحاح السابق كانت العروس «جنة مغلقة»... «عين مقفلة»... «ينبوع مختوم»... تتدفق منها عواطف المحبة القوية، لكنها الآن نائمة... إنه اختبار محزن، فبعد الوليمة العظيمة إذا بالعروس تقول «أنا نائمة»... إن هذه النفس لم تقدر أن تسهر معه ليلة آلامه... لقد فترت محبتها التى يريدها الله قبل كل شىء... **يقول القديس يوحنا ذهبى الفم «لا شىء أعظم من المحبة أو يساويها. ولا حتى الاستشهاد نفسه الذى هو قمة الأعمال الصالحة. فالمحبة بدون استشهاد تُصيّر تلاميذ للمسيح. لكن**

الاستشهاد خلواً من المحبة يعجز عن ذلك. وليس ذلك فقط، بل حتى أولئك الذين يستشهدون من غير محبة، فإن الاستشهاد لا يفيدهم شيئاً» [فى مديح شهداء رومية ١ : ١] .

وهناك عينة من ذلك فى كنيسة الرسل... فهناك فارق كبير بين مؤمنى أفسس الذين كتب إليهم بولس يقول «كذلك أنا أيضاً إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إياكم فى صلواتى» (أف ١ : ١٥، ١٦). وما وجهه المسيح إلى خادم كنيسة أفسس فى سفر الرؤيا «لكن عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى. فاذكر من أين سقطت وتب واعمل الأعمال الأولى» (رؤ٢ : ٤، ٥).

جدير بالملاحظة أن العروس هنا فى حالة فتور فى حبها ... هى لا تُرى فى حالة شرّ أو دنس ولكنها فقدت قوتها الروحية «أنا نائمة وقلبى مستيقظ». إنها فى حالة قلق... هى تحنّ إلى المسيح لكنها لا تميل لأن تجهد نفسها من أجله... **إنها فى حالة التبلّد والخمول الروحى التى معها تصبح الواجبات الروحية تشكل عبئاً على كاهله.**

معنى قول العروس «أنا نائمة وقلبى مستيقظ» إنها لا هى نائمة ولا هى مستيقظة... ضميرها نائم ولكن قلبها فى حال يقظة. ومن ثمّ لا تجد لذاتها راحة !!

- **كان هذا هو موقف العروس؛ فماذا عن العريس ؟!**

إزاء تصرف العروس هل تغيرت مشاعر العريس بعد أن تغيرت مشاعرها ؟

• إن محبة المسيح لعروسه لم تتغير رغم فتور محبتها «صوت حبيبى قارعاً» ... إن كلماته كلها تدل على ذلك «افتحى لى **يا أختى. يا حبيبتى. يا حمامتى. يا كاملتى**» إنه ما من مرة قبل هذه خاطبها بألفاظ وألقاب مثل هذه تدلّ على الإعزاز.

• قوله «افتحى لى يا ...» إنما يشير إلى حرية إرادة الإنسان كما يقول فى سفر الرؤيا «هوذا أنا واقف على الباب وأقرع ...» (رؤ٣ : ٢٠). حتى عندما تقدم إلى تلاميذه ماشياً على البحر وسط هياج الأمواج لم يقتحم سفينتهم بل يقول يوحنا «فرضوا أن يقبلوه فى السفينة» (يو٦ : ٢٠).

• إنه يدعوها «حبيبتى» نظراً للعلاقة الخاصة. و يدعوها «حمامتى» إذ تحمل الروح القدس الذى نزل على شكل حمامة. و يدعوها «كاملتى» أى التى بلا عيب.

• إنه يتوسل إليها أن تفتح «لأن رأسى امتلأ من الطلّ وقصصى من ندى الليل» وكأنه يتوسل إليها بما احتمله من آلام وأحزان فى جثسيمانى والجلجثة ... لقد دخل المسيح جثسيمانى ليلاً، وها هو يأتى إلى عروسه فى الليل، ورأسه امتلأ من الطل وقصصه من ندى الليل ...

لكن العروس قدمت اعتذارات واهية «قد خلعت ثوبى فكيف

ألبسه . قد غسلت رجلىّ فكيف أوسخهما » ... ما أوهى ما تقدمه النفس من اعتذارات فى وقت فتورها .... لقد تشبهت بالذين قدموا أعذاراً لكى لا يحضروا العرس فى مثل عرس ابن الملك (مت ٢٢ : ٥) ... إن كانت قد خلعت ثوبها فالمسيح هو ثوب البرّ الذى يسترنا « قد لبستم المسيح » (غل٣ : ٢٧) ... « البسوا الرب يسوع المسيح » (رؤ١٣ : ١٤) . إنه هو الذى يلبس الضال بعد عودته الحلة الأولى (لو١٥ : ٢٢) ... إنه الثوب الذى قال عنه زكريا النبى « قد أذهبتُ عنك اثمك ، وألبستك ثياباً مزخرفة » (زك٣ : ٤) .

إن كانت قد غسلت رجليها ولا تريد أن توسخهما ، فلتعلم العروس أن القارع على الباب هو سيدها الذى تمنطق وغسل الأقدام ... هى غسلت رجليها جسدياً أما غسل الرب فهو من نوع آخر على نحو ما قال لبطرس حينما امتنع عن أن يغسل المعلم رجله « إن كنت لا أغسلك فليس لك معى نصيب » (يو١٣ : ٨) ... [إن غسل الأرجل رمز للتطهر مما يلحق الإنسان من خطايا طالما هو يعيش فى الجسد . لأن ذرات التراب اللاصقة رمز للخطايا التى تلحق بنا دون أن نشعر] .

« حبيبى مدّ يده من الكوة فأنّت عليه أحشائى . قمت لأفتح لحبيبى ، ويداى تقطران مراً وأصابعى مرٌ قاطر على مقبض القفل » (نش ٥ : ٤ ، ٥) .

كانت نتيجة عدم إنصات النفس إلى صوت حبيبها ؛ الذى أعلن

حبه لها بطرق متنوعة، أنه مدّ يده من الكوة (فتحة الباب The Hole of the door) - يده التى بها أثر مسمار الصليب - حتى ما ترى آثار جراحات الحب التى احتملها من أجلها، وكانت النتيجة أن أحشاءها أنّت عليه...

حينما دخل الرب إلى التلاميذ فى العلية والأبواب والنوافذ مغلقة «أراهم يديه وجنبه» (يو٢٠: ٢٠)... وذلك لكى يثبت إيمانهم بقيامته، وليذكرهم بحبه لهم وبذله نفسه عنهم. إن هذه الكوة ليست سوى جنب الرب المفتوح بالحربة وجراحاته... من خلالها يمدّ الرب يدّ محبته ليكشف عن حبه حتى ما تئن أحشاؤنا وإذا كانت الكوّة هى فتحة الباب، أليس المسيح نفسه هو الباب ؟!

ثم ماذا ؟! حالما أنّت أحشاء العروس قامت لتفتح... ألا يذكرنا ذلك بالابن الضال الذى بعد أن رجع إلى نفسه «قام وجاء إلى أبيه» ؟!

يداها تقطران مراً وأصابعها مرّ قاطر - إشارة منها إلى أن حياتها تفيح الآن برائحة موت المسيح.

«فتحت لحبيبى، لكن حبيبى تحول وعبّر. نفسى خرجت عندما أدبر. طلبته فما وجدته. دعوته فما أجابنى. وجدنى الحرس الطائف فى المدينة. ضربونى جرحونى. حفظة الأسوار رفعوا إزارى عنى. أحلفكن يا بنات أورشليم إن وجدتن حبيبى أن تخبرنه بأنى مريضة حباً. ما حبيبك من حبيب أيتها الجميلة بين النساء. ما

حبيبك من حبيب حتى تُحلّفينا هكذا » (٥ : ٦ـ ٩).

قامت العروس تفتح لعريسها بعد تهاون فوجدته قد تركها وتحوّل عنها وعبر. والسؤال : لماذا فعل هكذا ؟!

● من ناحية هو تأديب لتأخر الإنسان فى الاستجابة ... إن حكمة الله من ذلك أن يعرّف الإنسان ضعفه ، وهذا يكون حافزاً له على تلاشى هذا الضعف ...

● ومن ناحية أخرى هو بمثابة امتحان للإنسان فى المثابرة ... حتى إذا ما نال الإنسان السعادة الروحية يحرص عليها فالأشياء التى يحصل عليها الإنسان بسهولة يُفرط فيها .

● يقول داود النبى «لا تتركنى إلى الغاية» (مز١١٩ : ٨)... والمعنى أن داود يقول لله : أنا أعلم أنك تترك قديسيك لأجل فائدتهم من أجل امتحانهم ، وأنا لا أسألك ألا تتركنى فذلك ليس لصالحى . إنه فى موضع آخر يقول «خير لى أنك أذللتنى حتى أتعلم حقوقك».. إن الامتحان هو فرصة للتدرّب .

● إن ترك الله لنا بعض الوقت هو لخير الإنسان (الطفل الذى يعلموه المشى) .

«طلبته فما وجدته. دعوته فما أجابنى» ...

طلبته العروس فما وجدته مع أنه ليس فقط واقفاً إلى جوارها، بل هو داخلها ينتظر أن يرى جهادها (ورد بقصة الأنبا أنطونيوس -خلال جهاده مع الشياطين- أنهم تركوه مرة بين حىّ وميت. وحينما أفاق وجد مجد الرب يملأ المغارة. فقال أين كنت يارب. أجابه كنت معك. ولماذا لم تتقدم لنجدتى. قال لأرى جهادك !!).

+ من هم الحرس الطائف فى المدينة الذين ضربوها وجرحوها. ومن هم حفظة الأسوار الذين رفعوا إزارها عنها ؟

● الضرب والجرح ورفع الإزار لعله نوع من الاختبار القاسى والتأديب حينما يفشل التأديب السهل.

● ربما أشار هؤلاء الحرس وحفظة الأسوار إلى اليهود الذين لم يؤمنوا الذين أتعبوا الكنيسة بالضرب والتجريح كما حدث مع استفانوس أول شهداء المسيحية (أع ٧: ٥٧- ٨: ١).

+ مريضة حباً ... لقد نسيت العروس جراحها التى جرحها بها حرس المدينة فلا تطلب من بنات أورشليم أن يخبرن حبيبها بما قاسته لأجله من جراح وآلام بل أن يخبرنه بأنها «مريضة حباً» ... إنه مرض جميل، دليل الصحة الروحية... وخير لنا أن نكون مرضى بحب المسيح من أن نكون أصحاء فى محبة العالم.

+ ما حبيبك من حبيب ، أيتها الجميلة بين النساء . ما حبيبك من حبيب حتى تُحلّفينا هكذا . وكأن بنات أورشليم يقلن لها :

إنك جميلة ولا ينقصك شيء ، فمن هو هذا الحبيب الذى تنشغلين به . ومن هو هذا الحبيب الذى تحلفينا هكذا من أجل بقاء محبتك معه ؟!!

إن هذا الكلام يثير سؤالاً هاماً ـ كم يساوى المسيح فى نظرك ؟! فى نظر يهوذا الاسخريوطى كان يساوى ٣٠ من الفضة وأنت كم يساوى فى نظرك ؟!

« حبيبى أبيض وأحمر . مُعْلَمٌ بين ربوة » (٥ : ١٠)

تساءلت بنات أورشليم عن هذا الحبيب « ما حبيبك من حبيب » ، وإزاء ذلك لم يسع العروس إلا أن تبادر بالجواب وتقدم صورة جميلة لحبيبها من الرأس إلى القدمين . لقد كان هذا الحبيب ماثلاً أمام عينها دائماً ، وكان ملء قلبها وعواطفها ، لذا لم تتردد فى الجواب ، ولم تكن بحاجة إلى فرصة للتأمل ، فلم تطلب من بنات أورشليم أن يمهلنها لتجيب على تساؤلهن ، بل ابتهجت بالفرصة التى أتاحت لها أن تقدم صورة عن حبيبها ... « قدسوا الرب الإله فى قلوبكم . مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم » (١بط ٣ : ١٥) .

« حبيبى أبيض وأحمر »

قبل أن تبدأ العروس بذكر أوصاف حبيبها بالتفصيل بدأت بوصف

عام عن كمالاته، فقالت «حبيبى أبيض وأحمر» ... واللون الأبيض رمز للقداسة والطهارة. ففى المسيح كل الكمال الأدبى. فهو القدوس المولود من العذراء (لو١ : ٣٥). وهو الذى فى حياته بالجسد «لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر» (١بط٢ : ٢٢). وقد استطاع أن يتحدى معاصريه من الحسّاد بقوله «من منكم يبكتنى «يثبت علىّ» على خطية» (يو٨ : ٤٦) فالخطية غريبة عن طبيعته المقدسة. وعندما تكلم عن الشيطان رئيس العالم قال «ليس له فىّ شىء» (يو١٤ : ٣٠). ويقول عنه يوحنا «ليس فيه خطية» (١يو٣ : ٥) ... هناك على جبل التجلى ظهرت طهارة شخصه القدوس الخالية من أى أثر للدنس فى ثيابه البيضاء اللامعة «صارت ثيابه تلمع بيضاء جداً كالثلج، لا يقدر قصّار على الأرض أن يبيض مثل ذلك» (مر٩ : ٣).

وهو ليس أبيض فقط بل هو أيضاً أحمر. فمع أنه «قدوس بلا شر ولا دنس» ولكنه أحب الخطاة والأشرار والدنسين ... «أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه» لقد رآه إشعياء «الآتى من آدوم بثياب حمر من بُصْرة. هذا البهىّ بملابسه المتعظم بكثرة قوته .. المتكلم بالبرّ العظيم للخلاص» (إش٦٣ : ١).

«معلم بين ربوة» (= المرتفع كعلم أو راية)

هذا العريس كما يقول عنه إشعياء «القائم راية للشعوب» (إش١١ : ١٠) ... لقد ارتفع على الصليب فجذب الشعوب إليه ... إنه المرتفع كالعلم أو الراية.

«رأسه ذهب إبريز. قصصه مُسترسلة حالكة كالغراب» (٥ : ١١)

بعد أن وصفت العروس حبيبها لبنات أورشليم وصفاً عاماً ، تأخذ فى وصفه بأكثر تفصيل وتدقيق متخذة فى ذلك تشابيه بشرية ... ونلاحظ أن العريس حينما أحصى صفات عروسه فى (ص ٤) أحصى لها سبع صفات للجمال . وهنا تذكر العروس عشر صفات لحبيبها مبتدئة من الرأس ...

« رأسه ذهب ابريز » (= خالص)

الذهب الخالص يشير إلى لاهوت المسيح الذى فيه « يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » (كو٢ : ٩) . لقدَ أقامه الآب رأساً للكنيسة « الذى منه كل الجسد بمفاصل ورُبط متوازراً ومقترناً ينمو نمواً من الله » (كو٢ : ١٩) ... وإذا كان هو الرأس فهو وحده كابن الله يقدر أن يدخل بالجسد كله إلى السماء . وإذا كان الرأس سماوياً فالجسد لا يقدر أن يعيش إلا على مستوى سماوى ، مادام متحداً بالرأس ... هذا هو سر حب العروس لعريسها . إنها ـ من خلال اتحادها به ـ تدخل به إلى السموات إلى حضن الآب .

وإذا كان الذهب الابريز يشير إلى لاهوت المسيح ، فإن القصص المسترسلة إشارة إلى ناسوته القدوس المتحد به اتحاداً فائقاً ... إن هذا الشعر هم جماعة المؤمنين القديسين الذى لا تسقط منه واحدة بدون إذن أبيه .

إنهم به يعيشون . لا يشيخون . ولذلك لا تظهر فيه شعرة بيضاء بل كله أسود حالك كالغراب . إن المؤمن لا يشيخ بل يتجدد مثل النسر شبابه . هذا من عمل الروح القدس الذى على أساسه تقوم الشركة بين الأعضاء والرأس ، فتبقى الأعضاء فى كمال قوتها من خلال الرأس الذى لا يضعف أبداً .

«عيناه كالحمام على مجارى المياه مغسولتان باللبن جالستان فى وقبتيهما [١٨] » (٥ : ١٢)

ليس مثل العين يعبّر عما يكنه الإنسان فى باطنه ... إنها فى صمتها تتكلم بلغة أكثر وضوحاً من كلام الشفتين ... فى سفر الرؤيا رأى يوحنا وسط العرش خروف قائم كأنه مذبوح له سبع أعين هى سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض (رؤيا ٥ : ٦) . إن عدد ٧ يشير إلى الكمال «لأن عينى الرب تجولان فى كل الأرض ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه» (٢أى ١٦ : ٩) .

لكن ما أكبر الفرق بين عينى العريس كما تصفهما العروس ، وبين عينيه اللتين رآهما يوحنا فى جزيرة بطمس «عيناه كلهيب نار» (رؤ١ : ١٤) . إن فى هذا الوضع الأخير كمن يقضى وسط الكنائس . إنه فى طهارته الفائقة يعمل بسلطانه القضائى لإدانة كل ما لا يتفق مع الحق

---

(١٨) مستقرتان فى مكانهما .

والقداسة ... أما هنا فنرى عينيه كالحمام فى وداعته .

أما القول عن عينيه إنهما جالستان فى وقبيهما أى مستقرتان فى مكانهما ، فالمعنى أن نظرته لخاصته ثابتة وليس فيها تغيير، ولا يمكن أن يتغير قلبه من نحوهم أو تتحول نظرات محبته عنهم . إنهم فى يده ولا يستطيع أحد أن يخطفهم منه .

«خداه كخميلة الطيب (١٩) وأتلام (٢٠) رياحين ذكية . شفتاه سوسن تقطران مراً مائعاً» (٥ : ١٣)

خدّا المسيح اللذان يشيران إلى طلعته البهية فى آلامه قد تعرضا للهزء والعار كما يقول إشعياء «بذلت ظهرى للضاربين وخدىّ للناتفين . وجهى لم أستر عن العار والخزى» (إش ٥٠ : ٦) ... هذا الوجه الذى بصق عليه الأشرار (مت ٢٧ : ٣) ، تراه الكنيسة والنفس البشرية يحمل علامات الحب الباذل فتراه كخميلة طيب وباقات رياحين ذكية ، تشتمها النفس رائحة حياة .

أما عن شفتى العريس اللذين تشبههما العروس بالسوسن (الزنبق) ، فإن السوسن يشير إلى المجد الملوكى «تأملوا زنابق الحقل (السوسن)

---

(١٩) الأشجار العطرية الكثيرة .

(٢٠) باقات .

كيف تنمو لا تتعب ولا تغزل ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها » (مت ٦ : ٢٨ـ ٢٩) . فالشفتان السوسن تعلنان تعاليم الناموس الملوكى « فإن كنتم تكملون الناموس الملوكى حسب الكتاب تحب قريبك كنفسك ، فحسناً تفعلون » (يع ٢ : ٨) ... كم كانت تعاليم المسيح مجيدة ، ما أحلى الكلمات التى كانت تقطر من شفتيه « لم يتكلم إنسان مثل هذا قط » (يو٧ : ٤٦) (أنظر لو٤ : ٢٢) .

ويرى القديس غريغوريوس النيسى أن هذا الفم الذى يفيض سوسناً ومراً مائعاً (مختلط بالميعة) إنما يمثل الرسل الذين هم فم الرب يشهدون بكلمة إنجيله التى هى السوسن ، ويدخلون بالمؤمنين إلى المرّ المائع أى الإماتة فى المعمودية أو الدفن مع المسيح لينالوا قوة قيامته .

« يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد . بطنه عاج أبيض مُغلّف بالياقوت الأزرق » (٥ : ١٤)

الحلقة أو الدائرة تشير إلى الأبدية لأنه لا بداية لها ولا نهاية ... والمعنى أن يديه أبديتان تشبعان النفس والجسد إلى الأبدى « يفتح يديه ويشبع كل حىّ رضا » ... والذهب يشير إلى الألوهة ... إن حلقتى الذهب تمسكان بمحبوبته وتحميانها بطريقة إلهية ...

أما الزبرجد فيرد ذكره عدة مرات فى العهد القديم كما فى (حز١ : ١٦) «منظر البكرات وصنعتها كمنظر الزبرجد». وفى (دا١٠ : ٦) «وجسمه كالزبرجد»... ويشير الزبرجد إلى القوة المؤسسة - التى تؤسس وتكمل أهداف الله.

أما البطن فتقابل الأحشاء وتعبّر عن المشاعر العميقة كما جاء فى (نش٥ : ٤) «أنّت عليه أحشائى»... إنه إشارة إلى أن الرب يسوع له مشاعر عميقة وأحشاؤه تضطرم بالمحبة القوية... ونلاحظ أن العاج على العكس من الجواهر التى فى أصلها ومنشئها لا صلة لها بالحياة. والعاج يؤخذ من سن الفيل، ومن ثم فهو نتاج الألم. ولذا فالعاج يشير إلى محبة المسيح التى ظهرت فى آلامه لأجلنا حتى الموت.

أما كون هذا العاج مغلّف بالياقوت الأزرق، فذلك يشير إلى أن عواطف محبة الرب لم تكن سطحية أو عارضة. والياقوت يشير إلى النقاوة السماوية كما فى (خر٢٤ : ١٠) «ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل. ورأوا إله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة».

«ساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدتين من ابريز. طلعته كلبنان. فتىً كالأرز» (٥ : ١٥)

كون ساقيه عمودا رخام إشارة واضحة إلى ثبات واستقرار كل شيء

مرتبط بالمسيح. فقد جعل الله كل شيء مرتبط به متميزاً بالثبات وعدم التزعزع، على عكس أمور البشر... والرخام يشير إلى اللون الأبيض والنقى... واللون الأبيض يلازم الأوصاف التى تصف بها العروس حبيبها «حبيبى أبيض»- عيناه «مغسولتان باللبن»- السوسن ناصع البياض- ثم العاج الأبيض وعمودا الرخام... إن اللون الأبيض الناصع من مميزات القديس. ففوق جبل التجلى كان «لباسه مبيضاً لامعاً» حتى أنه لا يقدر قصار على الأرض أن يبيض مثله. فكل ما للمسيح يتميز بهذا الوصف وسيظهر ذلك حتى فى «العرش العظيم الأبيض».

إن الإنسان بحسب الجسد لم يستطع فى أى وقت من الأوقات أن يثبت فى أى مركز وضعه الله فيه، فلا عجب إن كان الله «لا يُسَرّ بساقى الرجل» (مز١٤٧ : ١٠).. إن تمثال نبوخذ نصر يعطينا فكرة صحيحة مؤيدة لهذه الحقيقة، فقد كان الرأس من ذهب. ولكن الإنسان لم يثبت فى هذا المركز الممنوح له من الله بل أخذ فى الانحدار من الذهب إلى الفضة ثم إلى النحاس والحديد وأخيراً إلى الخزف... أما الملك الحقيقى ربنا يسوع المسيح فإن «رأسه ذهب ابريز» و «يداه حلقتان من ذهب»، وساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدتين من ابريز. فالذهب يرى من هامة رأسه إلى باطن قدميه «يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر» (دا ٢ : ٤٤)... إنه الشخص الوحيد الذى استطاع أن يثبت إلى الأبد كل المقاصد الإلهية لمجد الله ولبركة الإنسان...

« طلعته كلبنان ، فتى كالأرز »

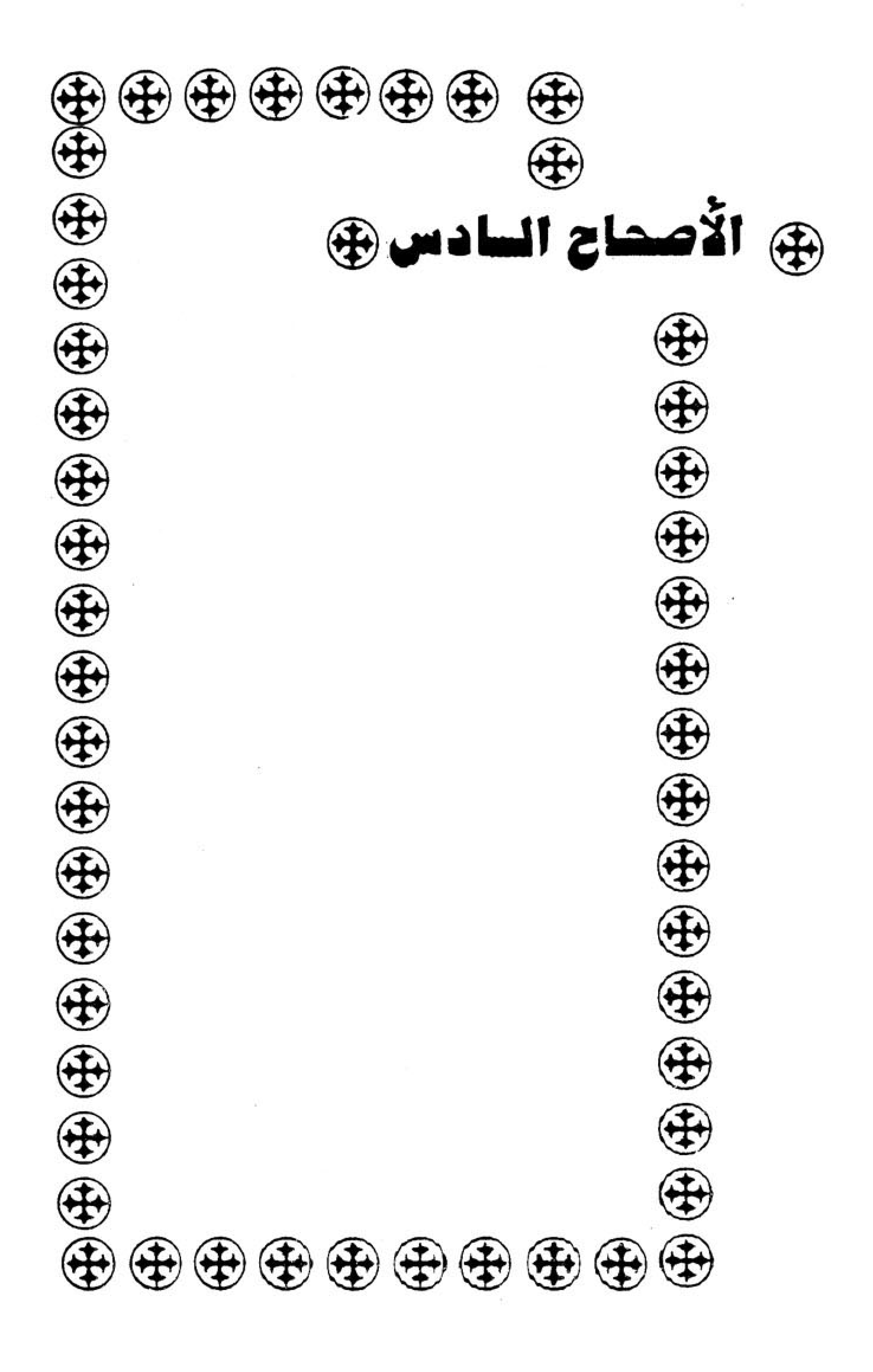
لقد ارتفع الرب المبارك فوق كل المستويات الأرضية ، وصار أعلى من السموات كونه « فتى كالأرز » يكشف عن سموه وطبيعته المرتفعة . ورغم أنه صار إنساناً لكنه تسامى فوق الكل كما يرتفع أرز لبنان الشامخ فوق كل الأشجار ، هكذا ينفرد الرب فى مجده .

« حلقه حلاوة وكله مشتهيات . هذا حبيبى ، وهذا خليلى يا بنات أورشليم » (٥ : ١٦)

هذا الوصف هو العاشر فى صفات العريس ، وهو يشبه ما جاء فى (نش ٢ : ٣) « تحت ظله اشتهيت أن أجلس ، وثمرته حلوة لحلقى » ... يقول المرتل « إن كلماتك حلوة فى حلقى ، أفضل من العسل والشهد فى فمى » (مز١١٩ : ١٠٣) ... الحلق هو الذى يخرج الكلمات ... وكلمات الرب روح وحياة « من أكلنى عاد إلىّ جائعاً ، ومن شربنى ازداد بى عطشاً » (ابن سيراخ) ...

إن من أحب الرب وأحب كلامه يشتاق إلى الجلوس تحت قدميه على نحو ما فعلت مريم أخت مرثا ولعازر ولسان حاله يقول « لكل كمال رأيت منتهى . أما وصاياك فواسعة جداً » (١١٩ ف ١٢) .

أخيراً إذ تشعر العروس بعجز لغتها عن وصف عريسها قالت « كله مشتهيات » .



الأصحاح السادس

«أين ذهب حبيبك أيتها الجميلة بين النساء. أين توجَّه حبيبك فنطلبه معك. حبيبى نزل إلى جنته، إلى خمائل الطيب ليرعى فى الجنات ويجمع السوسن. أنا لحبيبى وحبيبى لى. الراعى بين السوسن» (٦: ١- ٣)

كانت العروس قد قالت لبنات أورشليم إنهنّ إن وجدنَ حبيبها أن يخبرنه أنها مريضة حباً... وفى دهشة سألنها من يكون هذا الحبيب حتى يستحق أن تمرض لأجله؟! ثم طفقت بعد ذلك تعدد صفات حبيبها فأحصت له عشر صفات من هامة رأسه حتى قدميه!!... كان هذا الحديث مشوقاً لبنات أورشليم، فكانت النتيجة هى قولهن:

«أين ذهب حبيبك أيتها الجميلة بين النساء. أين توجه حبيبك فنطلبه معك»!!

لقد اتحزن (بنات أورشليم) للعروس، وأظهرن الاستعداد «فنطلبه معك» هذا يوضح قيمة الشهادة للمسيح: شهادة الكلام، وشهادة الحياة، وشهادة السلوك والعاطفة.

كان ردّ العروس «حبيبى نزل إلى جنته»... لقد عرفت تماماً أين تجده إذ تذكرت آخر كلماته التى قالها لها قبل تلك الليلة القاتمة ـ ليلة ضلالها وانحرافها عنه ـ تذكرت قوله «قد دخلت جنتى يا أختى

العروس » (نش ٥ : ١) ... كانت العروس هى جنته . لذا فقد تذكرت هذا الكلام وقالت « حبيبى نزل.إلى جنته إلى خمائل الطيب (= الأشجار العطرية الكثيفة) » .

ما أعذب التأمل فى عبارة « جنته » ... إنها توضح قيمة النفس البشرية فى نظر الله .

« أنا لحبيبى وحبيبى لى . الراعى بين السوسن »

تقول العروس فى (نش ٢ : ١٦) « حبيبى لى وأنا له » ... إنه اختبار النفس التى ذاقت محبة المسيح إنها تحسّ أنه لها « حبيبى لى » . أما النتيجة فهى أن تسلّم نفسها له بلا تحفظ فتقول « وأنا له » .

هناك تعبّر العروس عن فرحتها بامتلاكها المسيح « حبيبى لى » ، أما هنا فى الاصحاح السادس فتعبّر عن فرحتها بأنها هى « مِلْك المسيح » « أنا لحبيبى » .

« أنت جميلة يا حبيبتى كتِرصَة . حسنة كأورشليم . مُرْهِبَةٌ كجيشٍ بألويةٍ . حوّلى عنى عينيك فإنهما قد غلبتانى . شعرك كقطيع المعز الرابض فى جلعاد » (٦ : ٤ ، ٥)

إذ أعلنت العروس عن علاقة اتحادها بعريسها ، وشهدت أنه بداخلها فى جنته وتطلب إلى بنات أورشليم أن يكفوا عن البحث عنه فى الخارج ،

يمتدحها العريس مستخدماً بعض العبارات السابقة الواردة فى (نش ٤) ، مع الكشف عن أعماق جمالها .

إن العريس يرى عروسه « جميلة كتِرصة » ... وكلمة ترصة فى العبرية تعنى « انشراح أو بهجة » . وهناك رأيان فى كلمة « ترصة » .

ترصة هذه هى أصغر بنات صَلُفْحَادُ بن حَافَر الخمسة (عدد ٢٦ : ٣٣) . هؤلاء البنات مات أبوهن وليس لهن أخ . فوقفن أمام موسى والعازار الكاهن وأمام الرؤساء وكل جماعة اسرائيل لدى باب خيمة الاجتماع وطلبن أن يرثن أبوهن مع أخوة أبيهن . فأعطاهن الرب هذا الحق وصار ذلك فريضة قضاء (عدد ٢٧ : ١ - ١١) . ونلن أيضاً نصيبهن عند تقسيم الأرض على يد يشوع بن نون (يش ١٧ : ٣ - ٦) ... إن تشبيه العروس بترصة كأصغر البنات اللواتى طالبن بحقهن أمام موسى و يشوع ، وصدور الأمر من قِبل الرب أن يأخذن نصيباً وميراثاً ... إن هذا يعبّر عن جمال النفس المتحدة بالمسيح - إنها فى دالة بغير خوف تطلب نصيبها وميراثها - وليس هذا النصيب والميراث سوى الرب نفسه « نصيبى هو الرب قالت نفسى من أجل ذلك أرجوه » .

وربما قُصد بترصة المدينة الجميلة جداً التى كانت أصلاً للكنعانيين واستولى عليها يشوع بن نون (يش ١٢ : ٢٤) وقدمها لأسباط بنى اسرائيل . وقد صارت عاصمة لمملكة اسرائيل (العشرة أسباط) نحو خمسين سنة (١مل ١٤ : ١٧ ؛ ١٥ : ٢١ ، ٣٣ ؛ ١٦ : ٦ ، ٢٣) حتى بنيت مدينة السامرة . أما سرّ جمالها فهى أنها كانت قبلاً أممية عابدة

للأوثان وانتقلت إلى ملكية الرب بواسطة يشوع الذى يرمز ليسوع !!

و يراها العريس «حسنة كأورشليم» وأورشليم مدينة الملك التى فيها الهيكل والعبادة ـ أى صارت تمثل الأقداس السماوية التى يسكن فيها الله ...

هذا الجمال والحسن قد امتزج بالقوة، إذ هى «مرهبة كجيش بألوية» أى جيش منظم... مرهبة أمام الأعداء، لأن الرب الذى يغلب فى وسطها يحميها... إنها كجيش سماوى يحمل ألوية (أعلام) الغلبة والنصرة. لا تعرف الهزيمة ولا اليأس، بل روح الغلبة والقوة. فالإنسان بدون المسيح لا يساوى شىء لكن مع الله فهو مرهوب من الشياطين. والشياطين تفزع منه..

+ فقد ورد بكتاب السنكسار قصة ـ «كبريانوس و يوستينة» ـ و يقال إن كبريانوس كان ساحراً و برع جداً فى سحره. حتى أنه ترك بلدته ليعرض علمه فذهب إلى مدينة أنطاكية وكان هناك شاب غنى وقع فى حب فتاة كان يراها وهى ذاهبة للكنيسة وكانت ذا جمال. فذهب الشاب إلى كبريانوس وعرض عليه أمره فأبدى كبريانوس أنه سيحضرها له. ثم بدأ يعمل بسحره ولكن الشياطين لم يستطيعوا أن يأتوا بها... وبعد إلحاح كبريانوس أحضروها إليه وحالما قال «أهلاً يوستينة العزيزة» تبدد المنظر كدخان. فتعجب كبريانوس وحينما سأل الشياطين قالوا له إنهم لا يقووا على الاقتراب منها إذ هى تصلى دائماً. وكان هذا سبب فى إيمان كبريانوس. وصار له شأن فى الكنيسة.

+ قيل عن القديس تادرس المصرى أنه لما كان جالساً فى قلايته فى الاسقيط، أتاه شيطان محاولاً الدخول فربطه خارج القلاية. ووافاه شيطان آخر محاولاً دخول القلاية كذلك فربطه أيضاً خارج القلاية. فجاء شيطان ثالث ولما وجد زميليه مربوطين قال لهما «ما بالكما واقفين هكذا خارج القلاية؟» فقالا له «بداخل القلاية من هو واقف ليمنعنا من الدخول». فغضب الشيطان الثالث وحاول اقتحام القلاية. ولكن الشيخ ربطه كذلك بقيود صلاته خارج القلاية. فضجت الشياطين من صلوات الشيخ، وطلبت إليه أن يطلق سراحها. حينئذ قال لهم «امضوا واخزوا». فمضوا بخزى عظيم.

+ كان قس القلالى قد أُعطى نعمة من الله أن يرى الأرواح النجسة عياناً. وكانوا يرهبونه. وذات يوم وهو ذاهب إلى الكنيسة، رأى جماعة من الشياطين خارج قلاية أخ فى مناظر مختلفة بما يدل أنهم فرحون بمن هو داخل القلاية ... فتنهد القس وقال إنه بلا شك يوجد داخل هذه القلاية راهب فى أتون نار بسبب هذه الشياطين المحيطة بقلايته ... وبعد انتهاء الصلاة فى الكنيسة قرع على قلاية ذلك الأخ وتظاهر أمامه أنه تعبان جداً من الشياطين وطلب إليه أن يصنع كل يوم صلاة لأجله ... وبالكاد قبل ذلك. وقف الأخ يصلى من أجل الشيخ القس وكان ينوح ويضرب المطانيات إذ كيف يتجاسر ويصلى عن القديسين. وفى السبت الثالث أثناء مرور القس وجد الشياطين أمام قلاية الأخ غير قادرين على دخولها. فعلم أنه فى حالة أفضل فقرع باب القلاية ودخل ورأى النعمة بادية

عليه ... خرج الشيخ وكان يبارك الله . وأقام الأخ أسبوعاً آخر وعند مجيئه إلى قلاية الأخ وثبت عليه الشياطين ومزقوا ثيابه وقالوا له «أما يكفيك أن قلايتك لا نستطيع العبور عليها ، حتى ولا جيرانك ، وأخ واحد لنا فى هذه الجماعة جعلته عدوا لنا و يتعدى علينا النهار والليل ، وقد أحرقنا شرار صلاته ... وفتح الأخ وكانت النعمة بادية عليه فشكر الله من أجله .
[بستان الرهبان الطبعة القديمة ص ٢٣٩ - ٢٤١] .

والمعنى أن المسيحى يحمل مع جمال الوداعة والرقة ، القوة والشجاعة ... هو جميل فى هدوئه الداخلى ، جبّار فى جهاده ضد الخطية حتى الدم .

« حولى عنى عينيك فإنهما قد غلبتانى »

ما معنى العينين ؟ الدموع ، والحب . الله يغلب من حنانه - دموع المرأة الخاطئة فى بيت سمعان الفريسى - ودموع بطرس الذى خرج إلى خارج وبكى بكاءً مراً !! ولعل من أعظم الأمثلة آخاب الملك الشرير الذى قال فيه الكتاب «لم يكن كآخاب الذى باع نفسه لعمل الشر فى عينى الرب ، الذى أغوته إيزابل امرأته ، ورجس جداً بذهابه وراء الأصنام» (١مل ٢١ : ٢٥ ، ٢٦) ... إذ سمع كلام الرب ضده بفم إيليا النبى شق ثيابه وجعل مسحاً على جسده واضطجع بالمسح ومشى بالسكوت . فلم يحتمل الرب هذا المنظر بل قال لإيليا «هل رأيت كيف اتضع آخاب أمامى . فمن أجل أنه قد اتضع أمامى لا أجلب الشر فى أيامه» (١مل ٢١ : ٢٩) .

« شعرك كقطيع المعز الرابض فى جلعاد. أسنانك كقطيع نعاج صادرة من الغُسْل اللواتى كل واحدة مُتْئِمٌ وليس فيها عقيم، كفلقة رمانة خدك تحت نقابك » (٦ : ٥ - ٧)

سبق أن العريس مدح محبوبته بنفس هذه الكلمات فى (نش ٤ : ١ - ٣) وقد تكلمنا عن ذلك وقتها ... لكن لماذا التكرار هنا ؟ إن التكرار لتأكيد حقيقة هامة أن محبة الله للإنسان تظل ثابتة غير متغيرة ... فبالرغم مما اعترى الإنسان من فتور كما ورد فى الاصحاح الخامس، لكن العروس إذ رجعت بدموع التوبة وجدت حبيبها على محبته، وأن عواطفه نحوها لم تتغير، فى كل مرة يخطىء الإنسان يكون أول ما يختفى فيه هو يقين الإيمان وتحل الشكوك عوضاً عنها من جهة علاقة هذا الإنسان بالرب. والرب قصد بكلمات المديح هذه وتأكيدها أن يزيل عنا تلك الشكوك. لعل هذا يذكرنا بالرب الذى أظهر محبته لبطرس ثلاثة مقابل إنكاره المثلث « يا سمعان بن يونا أتحبنى ... ارع غنمى » !!

« هُنّ ستون ملكةً، وثمانون سرية وعذارى بلا عدد. واحدة هى حمامتى كاملتى. الوحيدة لأمّها هى. عقيلة والدتها هى. رأتها البنات فطوبنها. الملكات والسرارى فمدحنها » (٦ : ٨ ، ٩)

هنا يتكلم عن الكنيسة **« واحدة هى حمامتى كاملتى »**.

من يكون الستون ملكة والثمانون سرية ، والعذارى بلا عدد ؟!

ربما فى ذلك إشارة للسمائيين وطغماتهم الذين لا يقارنون بعروس المسيح التى هى جسده على الرغم من أنها تضم أعضاء كثيرين « يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد » (يو ١١ : ٥٢) وقوله « واحدة هى حمامتى كاملتى » ... هنا يشير إلى الروح القدس (حمامتى) الذى يؤلف المؤمنين ويجعل منهم واحداً.

وقوله « كاملتى » أى التى بلا دنس Undefiled - إنها إشارة واضحة للكنيسة. ماذا يقول بولس عن المسيح وعلاقته بالكنيسة « أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكى يقدّسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة. لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شىء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب » (أف ٥ : ٢٥ - ٢٧) ...

لعل هذا (وحدتنا فى المسيح وبالمسيح) تظهر بوضوح فى صلاة الرب الوداعية ليلة آلامه « أيها الآب القدوس. احفظهم فى اسمك. الذين أعطيتنى ليكونوا واحداً كما نحن. ليكون الجميع واحداً. كما أنت أيها الآب فىّ وأنا فيك. ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فىّ ليكونوا مكملين إلى واحد » (يو ١٧).

« الوحيدة لأمها هى. عقيلة والدتها هى »

من تكون هذه الأم والوالدة التى تتطلع إلى الكنيسة كوحيدتها ؟ إنها

أورشليم السمائية التى تنتظر العروس الواحدة التى خطبها المسيح لتصبح شريكة فى المجد الأبدى .

+ والبعض يرى عبارة «واحدة هى حمامتى كاملتى» إنها تشير للعذراء مريم، إذ كثيرات نلن كرامة أما هى ففاقتهن جميعاً... وفى الكلمات التالية ما يؤكد ذلك...

«من هى المشرقة مثل الصباح، جميلة كالقمر، طاهرة كالشمس. مرهبة كجيش بألوية» (٦ : ١٠)

إن العذراء مشرقة كالصباح إذ تجسد منها شمس البر الذى أضاء على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت. وهى جميلة كالقمر إذ تستمد جمالها من نور ابنها على نحو ما يستمد القمر ضوءه من الشمس. طاهرة كالشمس إذ حلّ عليها الروح القدس الذى طهرّها وقدسها وملأها نعمة وهيأها للتجسد الإلهى. مرهبة كجيش منظم إذ تحمل فى داخلها رب الجنود ذاته .

«نزلتُ إلى جنة الجَوْز لأنظر إلى خُضَر الوادى ولأنظر هل أقعل [٢١] الكرم، هل نَوّر الرمان. فلم أشعر إلا وقد جَعَلَتْنى نفسى بين مركبات قوْم شريفٍ. ارجعى ارجعى يا شُولَمِيّث. ارجعى

---

(٢١) أزهر.

ارجعى فننظر إليك. ماذا ترون فى شولَميّث. مثل رقص صُفَّينْ [22] » (٦: ١١-١٣)

إن مديح العريس للعروس لم يُلْهها عن العمل المثمر، فتقول « نزلتُ إلى جنة الجوز» الجوز فى الكتاب المقدس يشير إلى كلمة الله ... فحين صارت كلمة الرب إلى أرميا بن حلقيا الكاهن قيل له « ماذا أنت راءٍ يا أرميا » فقال « أنا راءٍ قضيب لوز». فقال له الرب « أحسنت الرؤية لأنى أنا ساهر على كلمتى لأجريها » (أر ١ : ١١، ١٢) ...

والجوز يذكرنا بعصا هارون رئيس الكهنة التى أفرخت عصاه وقدمت ثمر جوز (عدد ١٧ : ٨) فى (نش ٦ : ٢) تقول العروس « حبيبى نزل إلى جنته » ... وهنا العروس تقول « نزلت إلى جنة الجوز» ... والمعنى أن النفس دخلت إلى أعماقها الداخلية كما إلى جنة كلمة الله ... هناك تنظر ثمار الوادى - لترى هل الكرم أزهر، وهل الرمان نوّر... هذه كلها لا دخل للعروس فيها، إنما هى ثمار كلمة الله فيها.

« فلم أشعر إلا وقد جَعَلَتنى نفسى بين مركبات قوم شريف »

كلمة قوم شريف = عميناداب أو شعبى الكريم أو شعبى العامل مشيئتى بسرور والمعنى أن الله - فيما هى تنزل إلى جنة الجوز وتنظر خضر الوادى - قد جعلها أشبه بمركبات عميناداب ... أى أنها صارت بقوة كلمة

---

(٢٢) جيشين.

الله ، شعب الله الكريم المجاهد حتى النهاية ضد الشر والخطية .

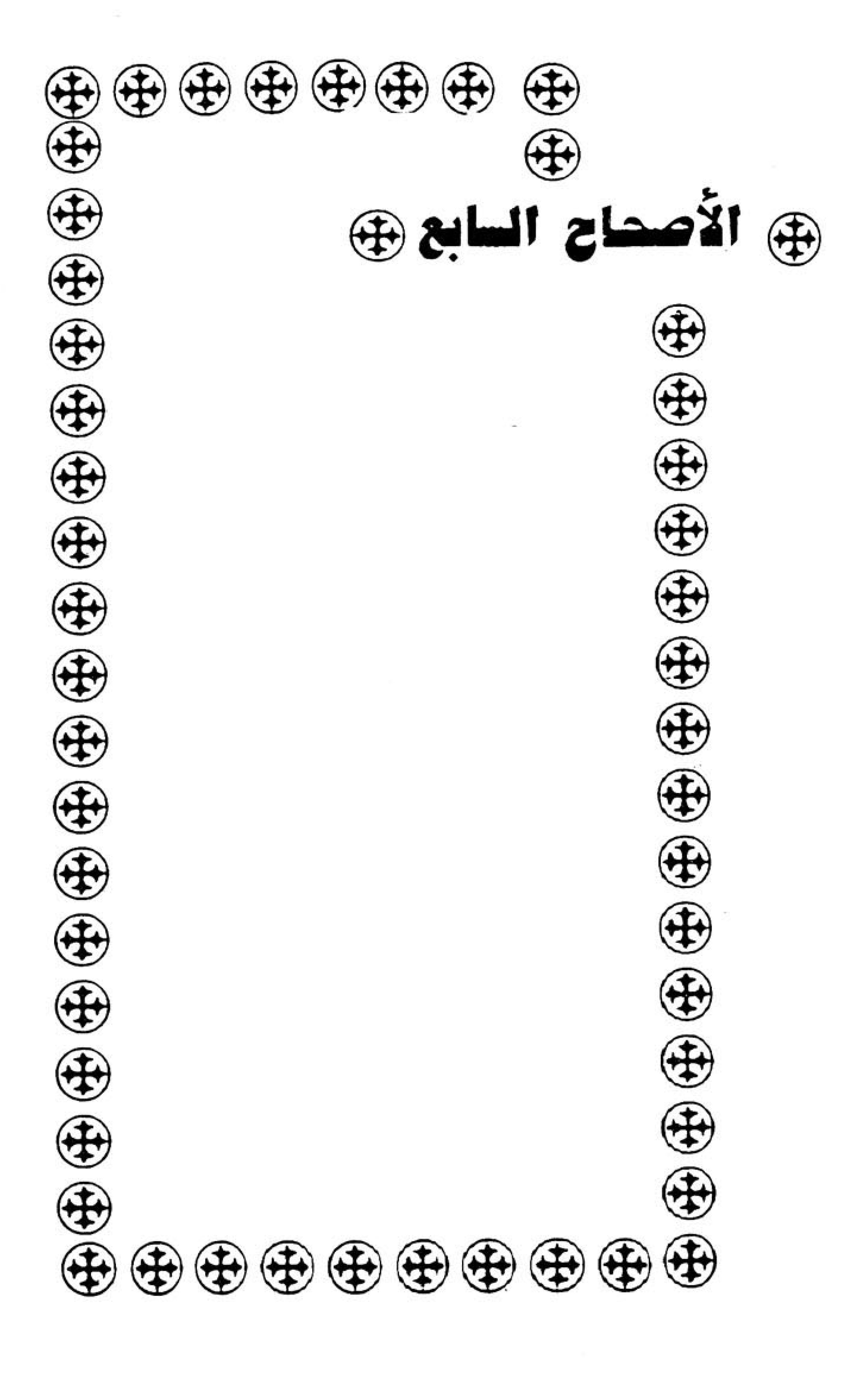
فى هذا الجو المملوء جهاداً ينادى العريس عروسه :

« ارجعى ارجعى يا شولميث . ارجعى ارجعى فننظر إليك . ماذا ترون فى شولميث . مثل رقص صفين »

شوليث مؤنث كلمة « شالوم » العبرية أى سلام . و يشتق منها اسم سليمان فشولميث معناها « إنسان السلام » أو « الحاملة للسلام » أو « التى لها سلام » . وهكذا يتضح وكأن السيد المسيح - سليمان الحقيقى - قد خلع عليها لقبه و يناديها به ، بعد أن حملت شخصه فى داخلها .

إنه ينظر إليها وهى فى حالة الحرب والجهاد و يدعوها شولميث ... أما سرّ السلام الذى فيها فهى رجوعها المستمر إليه ... إنه يدعوها أربع مرات أن ترجع « ارجعى ارجعى يا شولميث . ارجعى ارجعى فننظر إليك » .

ثم يعود العريس و يتطلع إلى من حوله و يقول لهم « ماذا ترون فى شولميث ؟ مثل رقص صفين (جيشين) والرقص علامة الغلبة والانتصار... هكذا رأينا مريم النبية أخت هارون مع بقية النساء فى رقصات الفرح وهن يسبحن الرب الذى أنقذهن من فرعون وجنوده (خر ١٥ : ٢٠)... ورأينا هذا المنظر أيضاً عندما قتل داود النبى جليات الجبار الذى عيّر صفوف شعب الله الحى ، فخرجت النساء من جميع المدن بالغناء والرقص (١صم ١٨ : ٦)... إن هذا دليل النصرة الروحية .



الأصحاح السابع

« ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم. دوائر فخذيك مثل الحلى صنعة يَدَىْ صَنَّاع » (٧ : ١)

يرسم الروح القدس أمامنا فى هذا الفصل صورة دقيقة ومفصّلة للعروس ... إنه يعطيها لقباً جديداً « يا بنت الكريم » (= يا بنت الأمير) ... إن هذا يوافق ما يقوله المزمور « كل مجد ابنة الملك من داخل » (مز ٤٥ : ١٣) ... لقد صارت منتسبة لله بعد أن ولدت من الماء والروح. صارت ابنة للملك السماوى ... فوإن كانت بسقوطها صارت حقيرة لكن بعودتها لله انتسبت إليه وحملت سمة ملكية.

سبق أن وصفت العروس عريسها فى (نش ٥ : ١٠ - ١٦) بعشر صفات ابتداءً من الرأس حتى القدمين ... أما هنا فإن العروس توصف ابتداءً من القدمين حتى الرأس ...

لكن لماذا توصف العروس ابتداءً من القدمين إلى الرأس ... لعله كان منظوراً إلى العروس قبل كل شىء من الناحية الأرضية ... أو كتعبير عن إعجاب بسلوكها وخطواتها العملية !!

« ما أجمل رجليك بالنعلين »

إن خطوات العروس تتميز بالاتزان والوقار الروحى « حاذين

أرجلكم باستعداد انجيل السلام » (أف ٦ : ١٥)- والمقصود باستعداد انجيل السلام هو السلوك العملى المطابق لتعليم انجيل الله « عيشوا كما يحق لانجيل المسيح » (فى ١ : ٢٧) ... وكأن العريس قد بدء فى وصفها بخطواتها الانجيلية . إنها تسلك طريق العريس ذاته وتمارس حياته الانجيلية ... إنها بهذا تحمل الشهادة لعريسها كقول بولس « ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام ، المبشرين بالخيرات » (رو ١٠ : ١٥) ، وقول إشعياء « ما أجمل على الجبال قدمى المبشر المخبر بالسلام ، المبشر بالخير ، المخبر بالخلاص . القائل لصهيون قد ملك إلهك » (إش ٥٢ : ٧) ...

« دوائر فخذيك مثل الحلّى » (= مفاصل فخذيك)

ينتقل من القدمين إلى الفخذين وإلى مفاصل الفخذين بالذات ... والمفاصل هى التى تعطى الرجلين القدرة على السير فى الطريق بكل حرية ... ولا يتسنى ذلك إلا بإخضاع الجسد والذات ... هنا نتذكر الحكمة فى مصارعة يعقوب . فالإنسان الذى صارعه لم يتركه حتى ضرب حق فخذه « فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه » (تك ٣٢ : ٢٥) ... والمعنى أن النشاط الجسدى والقوة الطبيعية - قوة الذات - يجب أن تتعطل وتُشَلّ حتى يتسنى للنعمة أن تنشيء فينا القوة الروحية للسير بحسب إرادة الله .

لقد أعطى بولس شوكة فى جسده وطلب إلى الله ثلاث مرات أن تفارقه ولكنه أدرك أخيراً أنه خير له أن يظل هكذا « تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » ... و يعبر بولس عن اختباره فيقول « صادقين

فى المحبة ننمو فى كل شيء إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح . الذى منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مَفْصل حسب عملٍ على قياس كل جزء يُحَصّل نموَّ الجسد لبنيانه فى المحبة » (أف ٤ : ١٥ ، ١٦) .

« سُرَّتك كأس مدوَّرة لا يعوزها شراب ممزوج . بطنك صُبْرة [٢٣] حنطة مُسَيّجة بالسوسن » (٧ : ٢)

يقول حزقيال النبى « وكانت إلىّ كلمة الرب قائلة . يا ابن آدم عرّف أورشليم برجاساتها . وقل هكذا قال السيد الرب لأ ورشليم ... أما ميلادك يوم وُلدتِ فلم تقطع سرتك ولم تُغْسَلى بالماء للتنظيف » (حز١٦ : ١ - ٤) ... حينما يخرج الجنين من أحشاء أمه يلزم أن تقطع سرته وبذا يرى نور الحياة الجديدة ككائن حىّ مستقل عن أمه ، لا يحتاج إلى الاغتذاء بدمها خلال الحبل السرّى ...

والمعنى أن الإنسان يقطع سرته أى يقطع صلته بالعالم ويبدأ بالتغذى بغذاء آخر... والسرّة حينما تقطع تصبح كأساً مدوّرة - الدائرة لا بداية لها ولا نهاية - إنها تشير إلى السماء أو إنها تشير إلى أن الإنسان حمل طبيعة سماوية ... هى لا يعوزها شراب ممزوج أى خمر أى أن مسرات العالم وأفراحه لا مجال لها فى حياتها الآن ... وفى نفس الوقت فإن غذاء هذه النفس التى لا تتغذى بغذاء العالم لها طعامها الخاص ... لها طعام

---

(٢٣) كومة .

روحى تلك التى يعبّر عنها بقوله « بطنك صُبْرة (كومة) حنطة » ... هذه الحنطة تشير إلى المسيح الخبز الحىّ النازل من السماء ... ثم إن هذه الخيرات محاطة بسياج من السوسن الذكى الرائحة ...

« ثدياك كخشفتين [٢٤] توأمى ظبية . عنقك كبرج من عاج . عيناك كالبرك فى حشبون عند باب بث رَبّيم . أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق » (٧ : ٣ ، ٤) .

سبق أن تكلمنا عن **« ثدياك كخشفتين توأمى ظبية »** فى (نش ٤ : ٥) وقلنا إن الثديين رمز للنمو والنضوج ـ وهما هنا رمز للنضوج والنمو الروحيين ـ وهما كذلك رمز لتغذية الآخرين ... وقلنا إن السيد المسيح يظهر للكنيسة متمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب (رؤ ١ : ١٣) إذ يقدم العهد القديم والعهد الجديد كثديين ترضع منهما الكنيسة وتتقوّت بهما ...

« عنقك كبرج من عاج » ـ سبق أن عرضنا لنفس التشبيه فى (نش ٤ : ٤) ... فى (نش ٤ : ٤) وصف عنقها « كبرج داود المبنى للأسلحة » أى أنهار راسخة وقوية تواجه الحروب ـ أما هنا فيصف عنقها « كبرج من عاج » ... وسبق أن أشرنا فى (نش ٥ : ١٤) إلى أن العاج يشير إلى قبول الآلام حتى الموت ـ حيث يستخرج من الفيل خلال آلامه ،

---

(٢٤) توأم من الغزلان الصغيرة .

وليس كالأحجار الكريمة الأخرى . إن هذا الوصف ينطبق على النفس البشرية التى تحتمل آلام الجهاد حتى الدم ضد الخطية ، كما يشير إلى ما احتملته الكنيسة من آلام لتظل الكنيسة شامخة كالبرج ... كما أن البرج أبيض ونفيس وهذا ما يشير إلى طبيعة هذه الصفات وقيمتها ... إنه يشير إلى طهارة النفس أو الكنيسة ونقاوتها .

« عيناك كالبرك فى حشبون عند باب بث رَبّيم »

قبلاً وصف العريس عينى محبوبته بعينى الحمامة حيث تتجلى فيهما صورة الروح القدس الذى يقدّس حياتها الداخلية ... وهنا يصف عينيها بالبرك ... ولم يصفهما بمياه الآبار التى توجد فى أعماق مظلمة . أما مياه البرك فمكشوفة ومعرضة لضوء الشمس ، أو منفتحة نحو السماء ... هذا الانفتاح نحو السماء يولّد انفتاحاً نحو البشر... معروف أن البرك تمتاز بوجود السمك بها . والسمك يرمز للبشر « أجعلكَ صياداً للناس » !!

أما كلمة حشبون فمعناها مجتهد ... هذا الاجتهاد من جهة العينين هو فى النظر إلى الإلهيات ... إن العين كما قال عنها المسيح هى « سراج الجسد » !! والمعنى أنها هى التى تقوده فى الطريق .

« أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق » (٧ : ٤)

لم يرد فى سفر النشيد قبل ذلك ذكر الأنف ضمن التشبيهات ، لأن حاسة الشمّ تبدأ عملها عند تمام النضج ... ومن الناحية الروحية تشير

حاسة الشم للتمييز بين رائحة المسيح الذكية وروائح العالميات التى هى فى الحقيقة نتنة. هذه الحاسة هى التى نميز بها بين الفضيلة والرذيلة... أما كونه يشبّه أنفها ببرج لبنان أنه دليل الشموخ... ليس بقصد الكبرياء، ولكن بقصد إحساس الإنسان بذاته كابن لله... «من الذى يغلب العالم إلا الذى يؤمن أن يسوع هو المسيح»... «أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى»...

«رأسك عليك مثل الكرمل وشعر رأسك كأرجوان (٢٥). ملكٌ قد أُسِرَ بالخُصَلْ» (٧ : ٥)

جبل الكرمل يرتفع إلى ما يقرب من ألفى قدم... والمعنى أن الكنيسة رأسها شامخ... الكنيسة كاملة ولا تخطىء من جهة إيمانها «واحدة هى حمامتى كاملتى» (٦ : ٨)... وبنفس المقياس مفروض فى المؤمن أن يكون كاملاً «كونوا كاملين...». «نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة»...

هذا من ناحية... ومن ناحية أخرى فإن كلمة الكرمل معناها «أرض الحديقة» تمتاز بالخضرة والثمار والغابات... هكذا لا يجب أن تبدو الكنيسة بلا ثمر وكذلك النفس البشرية. ثم إن جبل الكرمل فى الكتاب المقدس يحمل ذكريات مقدسة ومجيدة. فعليه وقف إيليا النبى

---

(٢٥) كالقرمز.

أمام كهنة البعل وكل الشعب وقال عبارته المشهورة « حتى متى تعرجون بين الفرقتين . إن كان الرب هو الله فاتبعوه . وإن كان البعل فاتبعوه » (١مل١٨ : ٢١) ... وهناك قتل كهنة البعل (١مل١٨ : ٤٠) رمز للقضاء على الشر... وبعد أن سقطت نار من السماء وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التى فى القناة... سقط كل الشعب على وجوههم وقالوا « الرب هو الله . الرب هو الله » (١مل١٨ : ٣٨ ، ٣٩) ... إن الكرمل يذكرنا بكل هذه الذكريات يجب ألا نعرج بين الله والعالم (المسيح أم باراباس) ، والقضاء على الشر ، والاعتراف بأبوة الله لنا « الرب هو الله . الرب هو الله » .

وعلى رأس جبل الكرمل سجد إيليا وخرّ على الأرض طالباً من الله أن يعطى مطراً على الأرض (١مل١٨ : ٤٢ - ٤٦) ... وهذا يذكرنا بالصلاة واستجابتها سواء فى الكنيسة أو حياة المؤمن .

هذه بعض الذكريات التى تتصل بجبل الكرمل الذى شبهت به الرأس : رأس المؤمن أو رأس الكنيسة .

أما الشعر الملتصق بالرأس فقد أشرنا سابقاً إلى أنه يشير إلي جماعة المؤمنين ... إنه كالأرجوان (القرمز) الذى هو الرمز الملكى ... إن كل الأعضاء تحمل السمة الملوكية . إنه لون دم المسيح .

« ملك قد أُسر بالخصل » أى أن مفاتن العروس قد اجتذبته وأسرته حباً . إن جمالها الذى خلعه عليها العريس هو الذى سباه « كل

مجد ابنة الملك من داخل. منسوجة بذهب ملابسها. بملابس مطرزة تحضر إلى الملك» (مز٤٥: ١٣، ١٤).

«ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات. قامتك هذه شبيهة بالنخلة، وثدياك بالعناقيد. قلت إنى أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها [٢٦]. وتكون ثدياك كعناقيد الكرم. ورائحة أنفك كالتفاح. وحنكك كأجود الخمر. لحبيبى السائغة المُرقرقة السائحة على شفاه النائمين [٢٧]» (٧: ٦-٩)

العريس -فى ختام وصفه للعروس- يقول لها **«ما أجملك وما أحلاك»** والمعنى الحرفى لهذه العبارة «كم صرت جميلة» ... لقد انسكب جمال العريس عليها فصارت هكذا... **«قامتك هذه شبيهة بالنخلة»** النفس البشرية أو الكنيسة صارت قامتها شامخة ومستقيمة كالنخلة «الصديق كالنخلة يزهو، كالأرز فى لبنان ينمو» (مز٩٢: ١٢)... لهذا رمز للسبعين رسولاً بالسبعين نخلة التى وجدها بنو اسرائيل أثناء ارتحالهم فى إيليم (خر١٥: ٢٧). وفى الأبدية يحمل المؤمنون سعف النخل علامة النصرة (رؤ٧).

---

(٢٦) سعفها العالى.

(٢٧) حنكك كأجود الخمر تسوغ بلذة لحبيبى وتسيل على شفتى وأسنانى (الترجمة السبعينية).

والعريس يفرح بثمر عروسه ، فيصعد إلى النخلة ليجنى ثمارها ... إنه لم يرسل أحداً من خدمه ، بل هو يصعد عليها ، ليقطف ثمارها ويمسك بسعفها .

أما باقى التشبيهات :

+ ثدياك كعناقيد الكرم .,. وسبق أن قلنا إن الثديين يرمزان للعهدين القديم والجديد وهى تشير إلى قدرتها على إطعام الآخرين .

+ رائحة أنفها كالتفاح ... وقد سبق أن رأينا فى التفاح رمز للمسيح والتجسد الإلهى ، وكأنها تشتم دائماً رائحة الإله المتجسد . والمعنى أن العروس بعد أن اتحدت بالمسيح بدأت الآن تفيح برائحته .

+ حنكك كأجود الخمر ... إنه يشير إلى الفرح وإلى تذوق السمويات .. إن الخمر يشير إلى ملكوت السموات « أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن » (يو٢ : ١٠) ـ وكما يقول « إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى » (مت٢٦ : ٢٩) .

+ وحينما وصل العريس إلى هذه الكلمة إذا بالعروس واستناداً إلى اتحادها الكامل به تقاطعه وتقول « لحبيبى السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين » .

وهذا يفيد أنها وحبيبها معاً قد تذوقا شيئاً من أمجاد الدهر الآتى « السائحة على شفاه النائمين » [إذ وصل العريس فى وصف جمال

عروسه إلى التحدث عن حنكها بأنه « كأجود الخمر » ، إذ بها تقاطعه قائلة « لحبيبى » أى أن هذه الصفات هى لحبيبى أو من حبيبى . وإن هذه الخمر تسيل وتجرى إلى فم حبيبها بسهولة وبلذة وهى لامعة ومتلألئة] ..

« أنا لحبيبى وإلىّ اشتياقه » (٧ : ١٠)

فى العلاقة الحبية بين العروس وحبيبها نجد تطّور علاقة الحب هذه إلى ما هو أسمى... فى (نش ٢ : ١٦) تقول العروس « حبيبى لى وأنا له » . وفى (نش ٦ : ٣) نسمعها تقول « أنا لحبيبى وحبيبى لى » ... أما هنا فتقول « أنا لحبيبى وإلىّ اشتياقه » ... كان همها الأول فى المراحل الأولى لحياتها أن تقول « حبيبى لى » . وفى المرحلة الثانية « وأنا له » . وهى كما قلنا سابقاً تعبّر عن الرغبة فى الامتلاك من أجل التمتع الشخصى . لكنها الآن بعد المعاملات المختلفة التى ربما نمّت عن الكبرياء لكنها تقول الآن « أنا لحبيبى » واختفت الرغبة الشخصية ، وعوضاً عنها أصبح الموضوع يتعلق برغبة الحبيب نفسه ما هى ؟ لقد صارت الآن تعلم أنها إنما تحيا فقط لأجل مسرته وأن تكون موضوع اشتياقه . وبالفعل فإنه يجب أن يكون أسمى غرض للمؤمن أن يحيا الحياة التى تجعل الرب يشتاق إليه . وأن يكون قادراً على القول « إلىّ اشتياقه » أو « اشتياقه إلىّ » . ما أعظم أن يكون اشتياق الرب إلى النفس ؟!! هذا الاشتياق لابد وأن يكون له أسباب .

«تعالَ يا حبيبى لنخرج إلى الحقل، ولنَبتْ فى القرى. لنبكرّن إلى الكروم. لننظر هل أزهر الكرم هل تفتح القُعال. هل نوّر الرمان. هنالك أعطيك حبّى» (١١، ١٢)

فى (نش ٦ : ١١) نقرأ عن الحبيب كيف نزل إلى جنته لينظر «هل أقعل الكرم، هل نوّر الرمان» الأمر الذى يدل على اهتمامه الكلى بوجود ثمر فى النفوس ... وفى هذين العددين نجد العروس لها نفس الفكر والاهتمام اللذين له فتتحدث إليه عن أمور تعلم أنها تسرّه ...

وهنا نلاحظ أمراً هاماً أن الخدمة السليمة تأتى كثمر للحب.

رأينا كيف تمكنت المحبة بين العروس وحبيبها حتى أن اشتياقه صار إليها ... وهنا كثمرة من ثمار الحب نجدها تفكر فى الخدمة وتريد أن تنطلق مع حبيبها وتقول له «تعالى يا حبيبى لنخرج إلى الحقل» ... لنا تأمل فى هذه العبارة.

لنخـرج ...

(أ) إن الله كما نفهمه ليس مُخيفاً بل محباً دعانا أخوته وأصدقاءه وأحبائه ... وهى تدعوه هنا لتصحبه «لنخرج» ... إلى أين ؟

(ب) إلى الحقل ... وماذا يكون هذا الحقل ... إنه حقل الخدمة «ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول إنها قد ابيضت للحصاد» (يو٤ : ٣٥).

(جـ) إن كان الله يدعونا للعمل « نحن عاملان مع الله وأنتم فلاحة الله ، بناء الله » (١كو٣ : ٩) ، لكننا لا نخرج بدونه لئلا يكون مصيرنا الفشل ... إن الله يعمل معنا فى الخدمة بروحه ولذا حذر الرسل وتلاميذه « لا تبرحوا أورشليم حتى تلبسوا قوة من الأعالى » . وإذا كان هذا الكلام عن الخدمة لكنه من ناحية أخرى يشمل التعاون الزوجى خاصة فى هذه الأ يام والتى تعمل الزوجة مثل زوجها فى عمل وظيفى ، يجب أن يتعاون الا ثنان « لنخرج إلى الحقل » !!

« لنبت فى القرى »

الكلمة وردت بصيغة الجمع « القرى » ... إنها لا تقصد مكاناً معيناً بل القرى كافة ... إن هذا يشير إلى حياة الغربة فى العالم « ليس له أين يسند رأسه » ... إنها فى سياحة غربة مع حبيبها تسير معه من قرية إلى قرية بحثاً عن الخراف الضالة !!

+ حياة الارتباط مع الحبيب تظهر من الكلمات التى قالتها العروس « لنخرج ... لنَبتْ ... لنبكرّن ... لننظر ... » ... كل حياتها أصبحت مرتبطة به ... والتبكير يشير إلى الاجتهاد فى العمل ... إنها تبحث وتفتش عن الثمار « هل أزهر الكرم ، هل تفتح العقال ، هل نوّر الرمان » ... بعد كل هذا تقول

« هنالك أعطيك حبى » !!

هنالك ... أى فى الحقول والقرى والكروم ... إنها نظرة شاملة لعمل

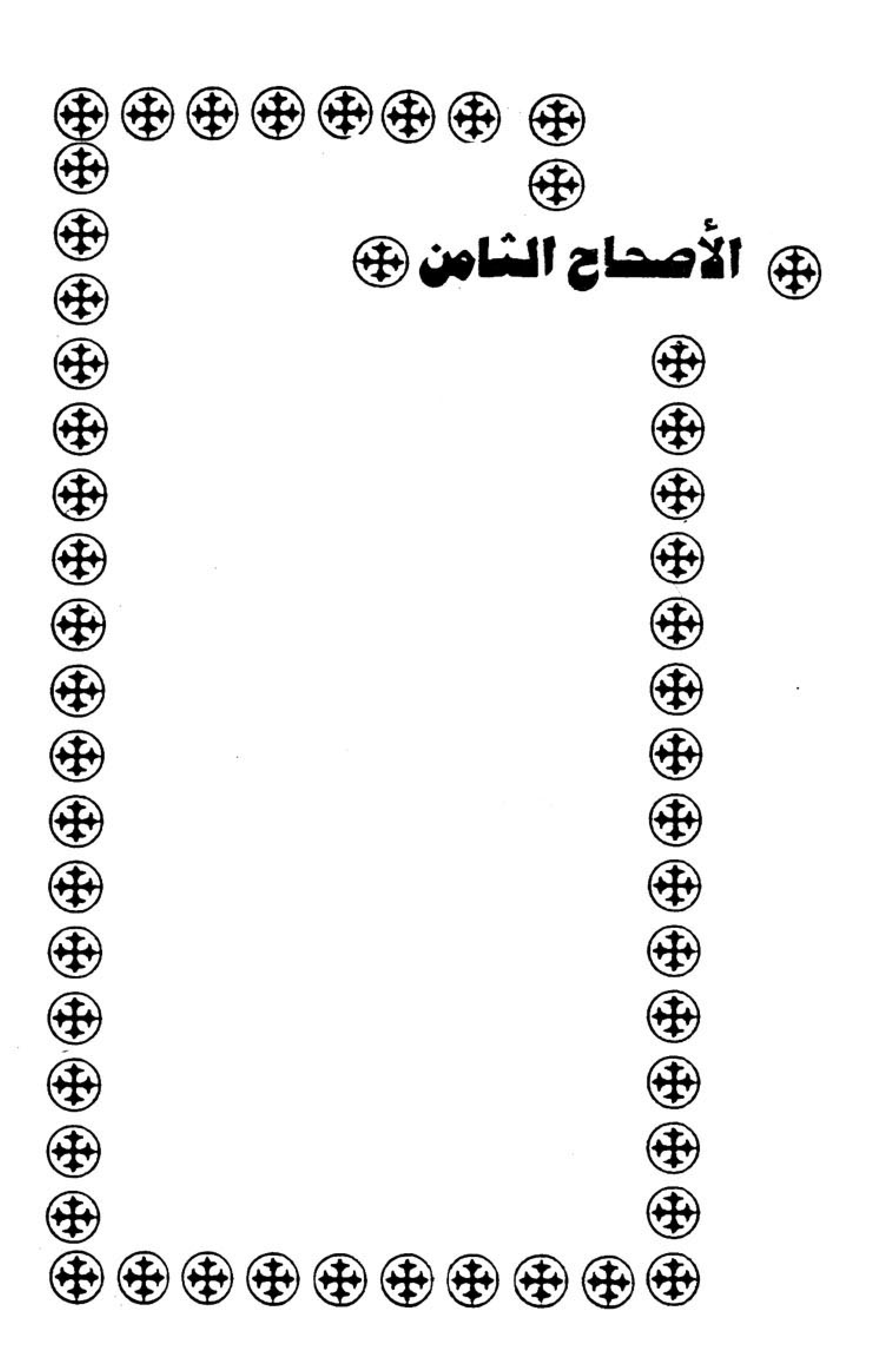
الرب فى كل العالم ... وفى هذه كلها تستطيع أن تعطيه حبها أى تظهر له حبها .

«اللفاح يفوح رائحة وعند أبوابنا كل النفائس من جديدة وقديمة ذخرتها لك يا حبيبى» (١٣)

اللفاح من أجمل الزهور التى تشير إلى المحبة الزوجية بين الرجل وامرأته ، لهذا حدثت بسببه مشاحنة بين راحيل وليئة (تك ٣٠ : ١٤-١٦) .

« وعند **أبوابنا** كل النفائس » ، والأبواب تشير إلى ما هو قريب وفى متناول اليد . والمقصود بالنفائس الثمار النفيسة ... أى أن هذه الثمار غدت فى متناول اليد وقريبة . هذه النفائس جديدة وقديمة . هى جديدة فى كل يوم وفى نفس الوقت هى أصيلة وعميقة ... هى ثمار كلمة الله العاملة فى نفوس المؤمنين ... هذا ما تقدمه العروس الأم (الكنيسة - أو النفس بفضائلها) للمسيح العريس السمائى الأبدى .

إنها تقدّم ثماراً متنوعة ، فرغم أن الذين قبلوا الرب يسوع يؤلفون جماعة واحدة لكن ليس كل منهم يحمل نفس الثمر لأن ثمر الروح متعدد الأنواع « محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ، إيمان ، وداعة ، تعفف » (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) .



الأصحاح الثامن

«ليتكَ كأخٍ لى الراضع ثديَىْ أمى، فأجدك فى الخارج، وأقبلّكَ ولا يُخزوننى. وأقودك وأدخلُ بك بيت أمى وهى تُعلّمنى، فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلافِ رُمّانى» (نش ٨ : ١، ٢)

يبدأ هذا الاصحاح الأخير من سفر النشيد بأشواق العروس للتحرر من العبودية وبالأنين للتخلص من قيود الطبيعة الجسدية... وكلما نما المؤمن فى حياة الشركة مع المسيح - كما هو حال العروس هنا - كلما اتضح أكثر أن الإنسان الخارجى (الجسد) يفرض حدوداً وقيوداً على الروح فى الداخل. فبينما الداخل يتجدّد يوماً فيوم، نجد الإنسان الخارجى يفنى أيضاً يوماً فيوم... وإن كانت قوة الله تظهر فى ضعف الجسد «قوتى فى الضعف تكمل»، لكن الجسد يبقى دائماً شوكة فى جنب الروح.

وكلما ازداد المؤمن فى النضوج الروحى كلما أدرك أن الكمال النهائى يبقى معطلاً بسبب قيود الجسد... وعلى الرغم من أن المؤمن يحمل فى إنسانه الداخلى باكورة حياة القيامة غير أنه لا يخلو من ذلك الأنين الذى تشارك فيه الخليقة كلها «فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا» (رو٨ : ٢٢، ٢٣).

رأينا فى نهاية الاصحاح السابق اتجاه العروس إلى الخدمة ورغبتها فيها كثمر من ثمار محبتها لعريسها ... وفى بداية هذا الاصحاح نجدها تلتهب حنيناً لحياة الاتحاد الأعمق مع عريسها. وكأن ختام مناجاة العريس وعروسه فى سفر النشيد هو دخول المؤمن إلى خدمة الآخرين مع التهاب القلب بالانطلاق نحو الفردوس ... وربما بدا هذان الاتجاهان متعارضان. لكنهما فى الحقيقة متلازمان ... وإن كان هذا الاصحاح الأخير من النشيد فى جوهره حديث عن الخدمة فإن أساس الخدمة هو المحبة وتمتع الخادم بمحبة عريس الكنيسة.

«ليتك كأخ لى الراضع ثديى أمى، فأجدك فى الخارج وأقبلك ولا يخزوننى»

كان التقبيل العلنى قديماً بين الرجال والنساء -حتى بين الزوج وزوجته- يعتبر خدشاً للحياء ومنافياً للياقة، وكان مسموحاً به فقط بين الأقرباء بالدم (المحارم) كالأخ والأخت ... ومن ثم أحست العروس بالحرج فى تحقيق شهوة قلبها المقدسة، وبعجزها عن الإفصاح للعالم عن عمق محبتها لعريسها ... وكأنها أرادت أن تقول «ليتك كنت أخى لكى أستطيع أن أظهر للجميع كيف نرتبط ببعضنا فى الله، وحتى حين أريد أن أعلن ذلك جهراً وأعبّر عن محبتى لك يا حبيبى، فلا يحتقرنى أو يُسَفّهنى الآخرون لكونى غير قادرة على إخفاء حبى ... لهذا تريده كأخ لها الراضع ثديى أمها فتظهر عواطفها نحوه علانية وتقبّله فى حضرة البشرية كلها دون أن ينسب لها لوم!!

+ لكن ما هو «بيت أمى» الذى تقول عنه العروس إنها تدخل بالعريس إليه؟ إنه الكنيسة أو أورشليم السماوية التى قال عنها بولس الرسول «أورشليم العليا التى هى أمنا جميعاً» (غل ٤ : ٢٦)... وهناك تسقيه من خمر بهجتها الممزوجة من عصير رمانها، لكنها تبقى فى اتضاع تريد أن تتعلم. إنها بحاجة مستمرة إلى أن يعلمها أسراره السماوية حتى فى الأبدية!!

ولماذا الخمر من عصير رمانها؟! فإن الرمان يشير إلى حياة الجهاد. فشجرة الرمان مملوءة شوكاً. وغلاف الرمان مرّ، وفى داخله بذور كثيرة تحمل عصيراً يحمل طعماً لذيذاً... إن الفرح فى المسيحية لابد وأن يمتزج بالتعب والجهاد الروحى إلى النهاية.

«شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى. أحلفكن يا بنات أورشليم ألا تيقظن ولا تُنبهن الحبيب حتى يشاء» (٨ : ٣، ٤)

هذه العبارات والتشبيهات مكررة وسبق أن قالتها العروس فى (نش ٢ : ٦، ٧)... سبق أن قلنا فى نهاية الاصحاح السابق أنه كثمرة من ثمار المحبة بدأت العروس تتجه للخدمة مع عريسها... وهنا هى تكرر هذا التعبير الذى يعبّر عن الحب لئلا يظن أحد أن الخدمة شغلتها عن محبة عريسها، بل العكس هو الصحيح أنه كلما كانت المحبة قوية كلما كان ثمر الخدمة وفيراً ومباركاً...

عندما كان يوحنا الرسول حبيب الرب منفياً فى جزيرة بطمس، ورأى الرب فى جلاله سقط عند رجليه كميت، فوضع يده اليمنى عليه قائلاً له لا تخف. وهى نفس اليد التى رآها يوحنا مثقوبة ومسمّرة بالصليب عند الجلجثة، ورآها بعد ذلك مرفوعة بالبركة وقت صعود المسيح إلى السماء... وإذ وضع يده عليه ملأ قلبه سلاماً وبدّد كل مخاوفه... لقد اختبر يوحنا وهو التلميذ الذى كان يسوع يحبه، ما اختبرته العروس هنا «شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى»، حينما اتكأ وقت العشاء الأخير على صدر الرب يسوع... ما أحلى حينما نريد أن نأوى إلى فراشنا أن نستودع حياتنا بين يدى الرب ونتذكر هذه الكلمات ونتخيلها ونطلب منه أن يتممها معنا «شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى»... من ذا الذى يقدر أن يقترب من نفس فى حضن الرب... إنها تنام فى حب ودفء وحماية وسلام وبركة ما بعدها بركة...

+ أما عن قولها «**أحلفكن يا بنات أورشليم ألا تيقظن ولا تُنبهن الحبيب حتى يشاء**» فسبق أن تكررت فى موضعين سابقين فى هذا السفر (٢: ٧؛ ٣: ٥)... إنها تناشد من حولها أن يلزمن الهدوء والصمت حتى لا يحدث ما يعكر صفو هذه الشركة الحلوة. إن كل من اختبر حلاوة الشركة مع المسيح وذاق مشاعر محبته لا يمكن إلا أن يرغب فى استمرار هذه الافتقادات الإلهية، على نحو ما اشتهى بطرس ذلك فوق جبل التجلى وقال «جيد يارب أن نكون ههنا»... إن الاحتضان بالذراع الشمال واليمين رمز لمحبة الرب وتعزياته... ولكن تقول العروس هنا

لبنات أورشليم « حتى يشاء » ، لأن التعزيات الإلهية لا تستمر على طول الخط وذلك من أجل خير الإنسان حسب كلمة الله ...

« من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها » (٨ : ٥)

إن هذه الطالعة من البرية هى إشارة إلى النفس التى تعيش فى العالم... لقد سمح الرب بحسب تدبيره أن يتغرب شعبه فى البرية أربعين سنة وذلك من أجل تدريبهم الاعتماد عليه فى كل شىء ، بل أكثر من هذا أن يعلموا أنه هو طعامهم وشرابهم !! كان المن النازل من السماء وكان الصخرة التى تفجر منها الماء وتابعتهم حيثما حلّوا ، وكلاهما كان رمزاً للمسيح !!

كان موسى يقود الشعب فى البرية ، وخلفه يشوع الذى أدخلهم أرض الميعاد... ولكن ههنا من هو أعظم من موسى ومن يشوع إنه الرب ذاته الذى قال « بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » ... إن العروس مستندة على حبيبها . بدون نعمة المسيح يسقط الإنسان ولا يستطيع أن يتقدم خطوة واحدة... ما أجمل التعبير « مستندة على حبيبها » ... ماذا يستطيع الإنسان الضعيف أن يعمل بدون عمانوئيل الذى تفسيره « الله معنا » ؟! ... إن الرب يريدنا أن نستند عليه فى كل شىء « للآن لم تطلبوا شيئاً باسمى . اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً » .

«تحت شجرة التفاح شوّقتُك. هناك خَطَبَتْ لك أمُّكَ. هناك خَطَبَتْ لك والدتُكَ» (٨ : ٥)

رداً على هذا التساؤل «**من هذه الطالعة من البرية ...**»، أجاب العريس أو السمائيون بتقديم وصف واضح عن هذه الطالعة من البرية «تحت شجرة التفاح شوقتك» -سبق أن قلنا إن شجرة التفاح رمز للمسيح الإله المتجسّد. إنه «شجرة التفاح بين شجر الوعر» (نش ٢ : ٣) ...

والمعنى أن المسيح شوقنا بتجسده وحياته وفدائه ... «هو الذى أخذ ما لنا وأعطانا ما له» ... هو الذى بارك طبيعتنا فيه وجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية. هو الذى أظهر عمق محبته -ليس للأبرار والأصحاء الذين لا يحتاجون إلى طبيب- بل للخطاة والمرضى بالروح ... هو الذى أظهر حنوّه نحو خليقته الذين رآهم منطرحين ومنزعجين كغنم لا راعى لها ... ألم تشوّقنا شجرة التفاح -المسيح المتجسّد- إليه ؟! إن هذا هو موضوع تأمل القديسين ورجال الله.

إن النفس البشرية لم تكن سوى خاطىء فقير بحثت عنه النعمة وسترته وخلصته ... أما الأم والوالدة التى خطبت فهى أورشليم السمائية التى هى «أمنا جميعاً» (غل ٤ : ٢٦). إن النعمة هى العمل الكامل للثالوث القدوس ... وعندما تبحث النعمة عن خاطىء فإنها تضعه تحت شجرة التفاح أى تحت ظلالِ المخلّص.

«اجعلنى كخاتم على قلبكَ، كخاتم على ساعِدِكَ. لأن المحبة قوية كالموت. الغَيْرة قاسية كالهاوية. لهيبها لهيب نار لظى الرب. مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة، والسيول لا تغمرها. إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقاراً» (٨: ٦، ٧)

بعد أن ذكّر العريس عروسه ومحبوبته بحقيقة ذاتها وكيف كانت نشأتها، فإنها تستطع الآن أن تظهر مشاعر الاتضاع العميق. لقد أدركت أنها لا شيء، وصار الآن كل رجائها معلقاً على الرب وحده لأنها إن كانت تريد أن تستمر حتى النهاية فذلك لن يتحقق بسبب شيء صالح فيها بل بقوة الرب ويده المُسندة وبعمل نعمته الدائم...

وبعد أن تيقنت من هذه الحقيقة طلبت إليه «اجعلنى كخاتم على قلبك. كخاتم على ساعدك. إن الخاتم (الختم) على القلب، وعلى الذراع هما بمثابة عهد وضمان إلهى بأن لنا كل محبة المسيح وكل قوته... هذا هو نفس المعنى الذى يقصد إليه الرسول بولس وهو يكتب إلى أهل أفسس فيقول «حسب عمل شدة قوته» (أف ١: ١٩) «حسب فعل قوته» (أف ٣: ٧) «أخيراً يا أخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته» (أف ٦: ١٠)... وليس شيء أقل من ذلك يريح العروس ويرضيها ويشبعها. إنها تعرف جيداً أن الختم (الذى يجعل الشيء رسمى ومعتمد) الذى يضمن سلامتها الحاضرة والأبدية هما على قلبه وعلى

ساعده... وحينما تكون للمؤمن هذه المعرفة يستطيع أن يقول «من سيفصلنا عن محبة المسيح...».

إن العروس فى تذكرها لضعفاتها من واقع خبرتها كأنها تقول للعريس «أنا اليوم لا أعود أضع ثقتى فى قوتى، لكننى أطلب أن محبتك وقوتك تمسكانى إلى الأبد. وسوف لا أتجاسر أن أتكلم عن محبتى لك لكننى سأذكر فقط محبتك لى».

إن العروس تصف المحبة التى عاشتها واختبرتها فتقول «المحبة قوية كالموت...» إنها تتحدث عن المحبة وصفاتها.

يقول أغسطينوس «لا تستطيع زوابع العالم أو أمواج التجارب أن تطفىء لهيب الحب. لذا عن هذا قيل «المحبة قوية كالموت». فكما أن الموت متى حل لا يوجد من يقدر على مقاومته إذ لا يقدر المولودون للموت أن يصدوا عنف الموت بأى فن من الفنون أو نوع من الأدوية، هكذا لايقدر العالم أن يقف ضد قوة الحب. لقد أخذ التشبيه بمثال الموت المضاد. فكما أن الموت عنيف هكذا فى التدمير، كذلك الحب قوى فى الإنقاذ (الخلاص). خلال الحب مات كثيرون عن العالم ليحيوا لله».

إنها تصف الحب وصفاً حقيقياً بالنسبة لله «إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقاراً». وكأنها تردد ما قاله الرسول بولس «إن أطعمت كل أموالى وإن سلمت جسدى حتى احترق ولكن ليس لى محبة فلا أنتفع شيئاً»

«لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان. فماذا نصنع لأختنا فى يوم تخطب. إن تكن سوراً فنبنى عليها برج فضة. وإن تكن باباً فنحصرها بألواح أرز. أنا سور وثدياى كبرجين. حينئذ كنت فى عينيه كواحدةٍ سلامة» (٨: ٨- ١٠)

هذه العبارات هى حديث عن الخدمة:

(أ) من لا ثديان لها رمز لغير المؤمنين فالثديين يرمزان للعهد القديم والجديد. ومع ذلك فهى تعتبر أختاً... هكذا يجب أن ننظر إلى غير المؤمنين فهم أخوة لنا نتعامل معهم كما يتعامل الأخ الأكبر مع الأصغر (وليس كالابن الأكبر والابن الأصغر فى مثل الابن الضال).

(ب) طالما أن الأخت الصغرى بلا ثديين فعمل الكبرى أن تقدم لها كلمة الله من العهدين وهو ما ينقصها.

(جـ) عند خطبة الصغرى ـ إن كانت سوراً تبنى الأخت الكبرى عليها برجاً فضياً (الفضة رمز لكلمة الله المصفّاة) وإن كانت باباً تحصرها بألواح الأرز ـ أى أنها تسندها بالعمل الإيجابى حتى تصير كاملة.

«كان لسليمان كرم فى بعل هامون. دفع الكرم إلى نواطير[٢٨] كل واحد يؤدى عن ثمره ألفاً من الفضة. كرمى الذى لى هو أمامى. الألف لك يا سليمان ومئتان لنواطير الثمر. أيتها الجالسة فى الجنات

---

(٢٨) حرّاس.

الأصحابُ يسمعون صوتك فأسمعينى. اهرب يا حبيبى وكن كالظبى أو كغفر[29] الأيائل على جبال الأطياب» (نش ٨: ١١- ١٤)

+ الكرم للمسيح (سليمان الحقيقى) وهو يعمل فيه خلال الكرامين- والكرم ليس للكنيسة بل لسليمان.

+ بعل تعنى سيد وهامون تعنى الجموع- إن كرم المسيح -ملك السلام- إنما هو جموع البشرية كلها- إنه يصير ملكاً للجموع ليدخل بهم إلى سمواته.

+ سلم الكرم إلى كرامين أو نواطير (حراس)- وهو لا يكف عن العناية به لأنه كرمه «كرمى الذى لى».

+ الألف لسليمان الثمر كله لله ومئتان (مئة لرجال العهد القديم ومئة لرجال العهد الجديد) فالثمر الكثير يتمتع به كل خدام العهدين.

+ الخدام الذين يعملون لحساب المسيح الذى له الألف يصيرون كمن هم وسط جنات -فيتحول الباب الضيق والطريق الكرب إلى نير هين وحمل خفيف- و يعيشون وهم على الأرض كأنهم فى فراديس.

+ «أيتها الجالسة فى الجنات، الأصحاب يسمعون صوتك

---

(٢٩) صغير.

فأسمعينى » . كأنه يقول لها إن صوت حبك لم يعد مكتوماً بل يسمعه الذين على الأرض « إلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم » والآن تعالى لكى أسمع أنا صوتك المفرح . وكأنه يقول لها « رثى الملكوت المعد لك منذ إنشاء العالم » .

+ العروس تجيبه فى فرح قائلة « اهرب (اسرع) يا حبيبى وكن كالظبى والأيائل الصغيرة على جبال الأطياب » ... إن كنت تريد سماع صوتى فأنا محتاجة إلى اللقاء بك .

على جبال الأطياب تشير إلى الرفعة كالتجلى . والأطياب تشير إلى ما كُفّن به المسيح . إنه يلتقى بها خلال موتها ودفنها معه إذ تموت معه كل يوم لكى تحيا إلى الأبد ...

إن هذا الختام يشبه ختام سفر الرؤيا «آمين تعال أيها الرب يسوع » .

فهرســت

صفحـة

مؤلفات
نياقة الحبر الجليل

الأنبا يوأنس

أسقف الغربية

مؤلفات نيافة الحبر الجليل
الأنبا يوأنس
أسقف الغربية

١ - بستان الروح - الجزء الأول .

٢ - بستان الروح - الجزء الثانى .

٣ - بستان الروح - الجزء الثالث .

٤ - الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل .

٥ - الاستشهاد فى المسيحية .

٦ - السماء .

٧ - إيماننا الأقدس .

٨ - كتابنا المقدس ومسيحنا القدوس .

٩ - مسيحنا فوق الزمان .

١٠ - معالم الطريق إلى الله .

١١ - المسيحية والصليب .

١٢ - عقيدة المسيحين فى المسيح .

١٣ ـ باقات عطرة من سير الأ برار والقديسين .

١٤ ـ المسيحية والألم .

١٥ ـ العبادة فى كنيستنا دلالتها وروحانيتها .

١٦ ـ الكارز العظيم القديس مار بولس الرسول .

١٧ ـ فى ذكرى شهداء المسيحية .

١٨ ـ إسرائيل حقيقتها ومستقبلها .

١٩ ـ مذكرات لطلبة الكلية الإكليريكية اللاهوتية .

أ ـ مذكرات فى الرهبنة القبطية .

ب ـ المجامع الكنسية .

جـ ـ مذكرات فى تاريخ الكنيسة القبطية بعد مجمع خلقيدونية .

د ـ مذكرات فى تاريخ الكنيسة القبطية (٨٨٦- ١٢٥٠م) .

٢٠ ـ تأملات فى سفر نشيد الأناشيد .

الثمن ١٧٥ قرشاً


سفر النشيد هو سيمفونية حب تترنم
بها النفس العابدة، التي انطلقت متحررة
من قيود العالم، بعد أن تحررت من سلطان
فرعون أروح إلى البرية، لتتمتع بحرية مجد
أولاد الله. لهذا لا يتحدث هذا السفر عن
وصايا أو تعاليم، بل عن سر الحب
الأبدي، والحياة مع العريس السماوي...